سرد الوجع في الرواية النسْويّة من منظور النقد النسْوي المعاصر

اعداد
د/ رشا غانم
الجامعة الأمريكية- مصر

Doi: 10.12816/mdad.2019.48359
الاستلام : ٢٢/ ٦ /٢٠١٩ القبول : ١٥ / ٨ /٢٠١٩

المستخلص:
ينهض البحث على خصوصية الكتابة التي تكتبها الأنثى، فهذه الكتابة النسوية نتاج لمرجعية ثقافية واقتصادية واجتماعية ونفسية كونت لهن ذاكرة إبداعية أثْرت روايتهن، وكيف كان دخول المرأة لعالم الرواية دفاعا عن أناها الفردية الأنثوية، بكتابة هموم الإناث الجمعية، والدخول إلى عالم اللغة الذي كان محرما عليهن. والبحث يعد محاولة ضرورية للتركيز على النقد النسوي من ناحية ،والتفاعل من ناحية أخرى مع الخطاب النسوي من خلال الرؤية النسوية للعالم في سياقات حواراتها المختلفة مع الآخر الرجل باعتباره شريكا في الهموم الحياتية من جهة، وسلطة ذكورية قامعة للمرأة الباحثة عن التحرر من جهة ثانية. ويتكون البحث من مقدمة احتوت على هدف، وأهمية،ومنهج البحث ثم محورين أحدهما تنظيري، تناول مفهوم النسْويّة ،واتجاه النقد النسْوي المعاصر، وثانيهما، تطبيقي ،احتوى على ست روايات مختارة من إبداع الكاتبات العربيات على وجه الخصوص.
الكلمات المفاتيح: النسوية،الجندر،الآخر،الأنا،المهمشة،هواجس،الهوية.

Abstract:
This feminist writing is the result of a cultural, economic, social and psychological reference that created a creative memory that influenced their narrative, and how women entered the world of the novel in defense of their individual female self, by writing the concerns of the female association, The world of language that was forbidden for them. It is also a necessary attempt to focus on the feminist critique that has found its specificity in creative feminist writing. Her various conversations with the other man as a partner in the worries of life on the one hand, and a male repressive power

for women seeking liberation on the other. The research consists of an introduction that contains a goal, importance, and methodology.

المقدمة:

الروايات الستة المختارة في هذا البحث [١] معبرة بوصفها عن وجع الأنثى وعن هواجسهن الكاتبات وآلامهن، التي تتيح مجالاً للعقل كي يبحث عن متنفس يتغلب على الألم والحسرة، حيث ينطلق الخيال في فضاء لا نهائي باحثًا عن طريق للانتصار على الواقع ، فنجد الكاتبات يتخذن من الكتابة معبرا للبوح، فكن – كما أرى- أكثر إثارة ورصدًا لهذا الواقع .

النسْويّة- اتجاه النقد االنسوي المعاصر.

النسْويّة:

النسوية ،هي المقابل العربيّ للمصطلح الانجليزيّ Feminism، ويشير إلى الفكر الّذي يعتقد أنّ مكانة المرأة أدنى من تلك الّتي يتمتّع بها الرّجل في المجتمعات الّتي تضع كلا الجانبين ضمن تصنيفات اقتصاديّة أو ثقافيّة مختلفة[٢].

كان الظّهور الأوّل لمصطلح " النّسويّة في أدبيّات الفكر الغربيّ عام ١٨٩٥، أمّا مفهوم المصطلح المتمثّل في فعل نسويّ مطالب بحقوق المرأة فقد بدأ مع نهايات القرن الثّامن عشر.. أمّا اعتماد مصطلح النّسويّة في حقول العلوم الانسانيّة فقد بدأ رسميّا عام ١٩١٠، وذلك في مؤتمر دوليّ ساهمت في عقده النّسويّة البارزة كلارا زاتكين، حين أعلن الثّامن من آذار عيدًا عالميّا للمرأة، وهو التّاريخ الّذي اعتمدته عصبة الأمم لإحياء ذكرى العصيان المدنيّ الّذي قامت به العاملات في نيويورك عام ١٨٩٥ احتجاجًا على الأوضاع البائسة الّتي كنّ يعانين منها، وقد ماتت فيه بعض هؤلاء العاملات[٣].

النماذج الستة المختارة هي:

١:- رولا خالد غانم،كاتبة فلسطينية لا يهزمني سواي ، ،حيفا،مكتبة كل شيء ،ط١ ،،٢٠١٨م.

٢ـــد. شهلا العجيلي :كاتبة سورية ، رواية "صيف مع العدو، د.، منشورات مجاز،عمان،الأردن،ط١ ، ٢٠١٨.

٣- لنا عبد الرحمن : كاتبة لبنانية ،رواية ،قيد الدرس" " بيروت، دار الآداب،ط١ ،٢٠١٦م

٤- د.سهير المصادفة : ،كاتبة مصرية ،رواية بياض ساخن ، الدار المصرية اللبنانية ،،ط١ ، ١٩١٥، م ،

٥- انتصار عبد المنعم:،كاتبة مصرية،لم تذكرهم نشرة الأخبار"وقائع سنوات التيه" القاهرة،روافد للنشر والتوزيع ،،ط٣ ، ٢٠١٦م.

٦- هالة فهمي: كاتبة مصرية بنات الحاج، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،،ط١ ، ٢٠١٣م.

(٢)أحمد جاسم الحميدي، المرأة في كتاباتها - أنثى برجوازيّة في عالم الرّجل؛ ط١ ،١٩٨٦..

(٣)تود، جانيت: دفاعًا عن التّاريخ الأدبيّ النّسويّ؛ ت:: ريهام إبراهيم – المشروع القومي

تدعو النظرية الأدبية النسوية - في العالم الغربي- الأدب النسائي إلى أن يكون ذا هوية أنثوية خاصة، تعبر عن تجربة المرأة الخاصة وتعكس واقع حياتها بشكل تفصيلي، ذلك أن المرأة قد قُدمت ولفترات طويلة بأنماط بعيدة عن الحقيقة والواقع بواسطة نماذج أدبية مضللة؛ لذلك لابد وأن يتطابق الأدب النسائي وتجربة المرأة سعياً وراء فهم ملح للتجربة الأنثوية، وهو الفهم الذي سيساهم بالضرورة في زيادة وعي المرأة.[٤]

والواقع أن هيمنة حضور البطل الأنثوي في كثير من النصوص السردية، تسعى من خلالها الكاتبة إلى الكشف عن الموقع الاجتماعي الذي تحتله المرأة داخل الهرم المجتمعي، وبهذا، ترتبط الكتابة النسائية بما هو آني و مرحلي (الشرط الاجتماعي) بوجوهه المتعددة: القهر،الاضطهاد، والدونية. لكن، هذا الوضع الذي تعاني منه المرأة، الذي ينعكس بدوره على كتابتها له علاقة بمواصفات تاريخية ثقافية وسياسية قد تؤول إلى الزوال إذا غابت شروطها الموضوعية، وهذا ما يجعل من الموقع الاجتماعي تعبيرا عن لحظة في مسار الكتابة النسائية و ليس شرطا محددا لها.

وتمثل النّسويّة حركةً متعدّدة الجوانب من النّاحية الثّقافيّة والتّاريخيّة، وقد لاقت أهدافها تأييدًا في شتّى أنحاء العالم، ويمكن تقييم مدى فعاليّة النّسويّة إذا نظرنا إلى الخطاب النّسويّ وإلى مدى تغلغله في التّفكير على مستوى الحياة اليوميّة.[٥]

ظهرت في القرن العشرين، دعوات عربية تنادي بالنسوية وأطلق عليها مصطلح الأدب النسائي ،في سياق الحركات الداعية لتحرر المرأة . والحقيقة أن مصطلح النسوية بادئ الأمر لم يكن مرتبطاً بحركة لها أهدافها واتجاهاتها، فقد استخدم هذا المصطلح بشكله الرسمي عام ١٩٢٣، وكان ذلك عن طريق الحزب النسائي المصري، إلا أننا نستطيع القول إن المرأة العربية أنتجت خطاباً يمكن تعريفه بأنه نسوي قبل أن يتشكل لديها مصطلح واضح للنسوية، وكما وجدنا في الغرب من لا يربط هذا المصطلح بما تنتجه المرأة فقط، فإن هناك اعتقاداً في العالم العربي بأن النقاش النسائي بدأه في العالم العربي المحامي المصري قاسم أمين في كتابه " تحرير المرأة"*.

نعترف لمصر بدور الريادة في قضايا المرأة، فإننا نستعير من مارغو بدران البدايات الأولى التي استخدم فيها مصطلح النسوية في مصر، فقد كان ذلك في عام ١٩٠٩ عندما نشرت ملك حفني ناصف مجموعة من المقالات عدها كثيرون علامة فارقة في تاريخ

للتّرجمة، المجلس الأعلى للثّقافة، ط١، القاهرة، مصر، ٢٠٠٢.

([4]) Eaglton, Mary :Feminist literary theory, Blackwel, Cambridge, UK, p 151.

([٥])تود، جانيت: ٢٠٠٢ دفاعًا عن التّاريخ الأدبيّ النّسويّ؛ ت: ريهام إبراهيم – القاهرة، مصر ،المشروع القومي للتّرجمة، المجلس الأعلى للثّقافة، ط١، ١٥.

المرأة. ومنذ عام ١٩٢٣ إلى الوقت الحاضر شهدت مصر نشاطاً نسوياً تنظيمياً سيطرت عليه مجموعة من الاتجاهات الفكرية التي تركت أثرها الواضح في الخطاب النسائي عبر فتراته المختلفة، فقط ظهر الخطاب الإسلامي الباحث عن ذات المرأة من خلال عملية تجديد وإصلاح ديني شاملة، وفي المقابل ظهر خطاب آخر أخذ على عاتقه أن تطور المرأة وإعلاء شأنها يكون بالتوجه نحو المجتمعات الغربية الأوروبية. وقد نشرت هذه الخطابات تحت عنوان نسائيات، ومضمون هذه النسائيات يكشف عن مطالبة بتحسين وضع المرأة بالتعليم وفتح فرص العلم ورفع أشكال الاضطهاد عن المرأة، وقد نشرت هذه النسائيات على صفحات الجريدة التابعة لحزب الأمة الوطني، الأمر الذي ساعد في انتشار الصوت الأنثوي ليصل قطاعات عريضة من الجنسين[٦]

وبعيدًا عن النقاشات النّظرية والأيدلوجية التي تبدو ذات أهمية كبرى في أدب الرجال، فإن الكتابات النّسويّة العربيّة لها خصوصية، حيث إنّ الكاتبة العربيّة لا يمكنها إلغاء شخصيّتها وثقافتها، فهي تنتمي إلى منظومة ثقافيّة واجتماعيّة لها تراث طويل، لا بدّ وأن تفرض نفسها أثناء عمليّة الكتابة، وبالتّالي فإنّ أيّ حكم يصدر على الكتابة النّسويّة في هذا الشّأن، دون محاولة بحث عن تلك الخصوصيّة والإشارة إليها، يعدّ تهميشًا وظلمًا[٧].

عندما نربط هذا المفهوم بإبداع المرأة مرهفة المشاعر والأحاسيس نجد وقعا آخر في التعبير بالكلمة فلا نتوقف كثيرا هل نطلق شعر نسائي أم نسوي أم أنثوي فكلها مصطلحات تؤول لشيء واحد هوالإبداع الخاص بالمرأة الذي تصوغه شعرا من نبع وجدانها. فأنا لست مع تجنيس الإبداع إلى : رجالي ، ونسائي (أنثوي – نسوي) فالإبداع موهبة واقتدار إذا ما مُنحت لإنسان ما فإنه مؤهل لممارستها بما تستحقه من استجابة وتميز رجلاً كان أم امرأة . تقول الأديبة الجزائرية زهور ونيسي "الأدب يقوم علي جوهر إنساني دون أن تدخل فيه الأنوثة أو الذكورة فهو يبحث عن التزاماته ليضيف التزاماً آخر ينتصر به علي أعداء المجتمع،أدب المرأة مرتبط بتركيبها الذهني والنفسي وأشياء أخري أهمها عاطفة المرأة وحساسيتها .

وعند البعض يعد مصطلح الأدب النسوي مصطلحا مشوّشا، فهو يعطي انطباعًا خاطئًا بأنه صيغ وصفا لحالة مستجدة وهي بدايَّة مساهمة النساء في الكتابة، فقدوم أولئك الكاتبات واقتحامهن عالم الطباعة والنشر الذكوري بعد تغييب طويل كان لا بُدَّ له من مسمى فكان المصطلح. لكن الحقيقة هي أن الكتابة النسائيَّة استمرَّت ما يزيد على ثلاثة قرون من الزَّمَان قبل أن يسكَّ هذا المصطلح، فهو بذلك ليس مصطلحًا يعيّن نوعًا أدبيًّا

٨- Badran, Margot, Cook, Miriam, Opening the gates, Indeana University press, p14-15.

(٧)سوسن ناجي، المرأة في المرآة - دراسة نقديّة للرّواية النّسائيّة في مصر؛ ١٩٨٩.

وإنما جاء نتيجة لحراك اجتماعي سياسي نسوي طالب بحقوق المرأة ومساواتها بالرَّجل قانونيًّا في عهود لاحقة. فالمصطلح إذا لا يرتبط بكتابة النساء الإبداعيَّة حصريًّا وإنما مرتبط بالحراك التحرري في القرن العشرين، وعليه فإنَّ الأدب المرتبط بقضايا المرأة هو الأدب النسوي سواء كتبته امرأة أو رجل.

اتجاه النقد النسوي المعاصر:

شهد القرن العشرون العديد من التحولات في مجال النقد الأدبي، كان من بينها ظهور ما يُعرف بالنقد النسوي، أي ذلك النقد الذي يهتم بالمسائل النسوية بشكل عام وبالإبداع النسائي بشكل خاص، الذي يهدف إلى قراءة المرأة كاتبة ومكتوبا عنها في الثقافة والإبداع، محاولا بذلك إعطاء المرأة أكثر فعالية في النتاج الأدبي من حيث الكتابة.

والنقد الأدبي النسائي من أشد مجالات النقد الأدبي تعقيدا بسبب ترجمة مصطلحاته ترجمة كفيلة بتوصيل المعاني المقصودة إلى القارئ العربي[٨].

وأيًّا كان المقصود بالأدب النسوي، فإنَّ النقد الذي يهتمُّ به– Feminist Critique يُركِّز على الاختِلاف الجنسي في إنتاج الأعمال الأدبيَّة شكلاً ومحتوى، تحليلاً وتقويمًا، ولا يتبع نظريةً واحدة أو إجراءات مُحدَّدة، فهو يستَفِيد من النظريَّة النفسيَّة والماركسيَّة، ونظريَّات ما بعد البنيويَّة عمومًا؛ لذا فهو مُتعدِّد الاتِّجاهات[٩].

وفي سياق تطور الحركة النسوية وتعبيراتها الفكرية والأدبية جاء ظهور الحركة النقدية النسوية في مطلع الستينيات من القرن الماضي، حيث يعتبر كتاب بيتي فريدان (الأسطورة النسوية ١٩٦٢) البداية التي أسست لهذا التاريخ، وفتحت أمامه آفاقا رحبة للتنوع والتطور. لكن هذا التطور والتنوع المنهجي والسياسي الكبير الذي عرفته هذه الحركة، في عقدي السبعينيات والثمانينيات التاليين، تحت تأثير المناهج النقدية ما بعد البنيوية، كان له الأثر الكبير في تعميق حضور هذا النقد.

و كان لآراء النّاقدة الأمريكيّة إيلين شوالتر Elian Showalter أكبر أثر في إيجاد هذا المصطلح وترسيخه، وذلك في كتابها " نحو بلاغة نسويّة " (١٩٧٩)، والّذي تصف فيه طرق تصوير المرأة في النّصوص الّتي يكتبها الرّجل، أو حذف هذه الصّورة منها، مستخدمةً مصطلح " النّقد النّسويّ – Feminist Critique " أثناء معالجتها تلك المفاهيم). [١٠].

---

(٨) محمد عناني:،٢٠٠٣، المصطلحات الأدبية الحديثة ،الشركة الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر ط، ص١٨٠.

(٩)الأعرجي، نازك: صوت الأنثى – دراسة في الكتابة النّسويّة العربيّة؛ الأهالي، ط١، دمشق، سورية، ١٩٩٧.

(١٠)خليل، إبراهيم: النّقد الأدبيّ الحديث من المحاكاة إلى التّفكيك؛ دار المسيرة، ط١، عمّان، ٢٠٠٩.

إنّ النّسويّة ساهمت بطروحاتها في فتح باب واسع لدراسات أغنت العلوم الانسانيّة عمومًا، ومن ضمنها تلك المتعلّقة بالأدب واللّغة، بجوانب لم تكن تعالج إلاّ نادرًا ما قبل مرحلة النّسويّة، فدراسة صورة المرأة في الأعمال الأدبيّة وفي السّينما والمسرح، والتّركيز على الإبداع النّسائيّ وخصوصيّاته، ونقد النّظريّات النّقديّة الحديثة، وتوظيف الأدب في معركة المرأة من أجل حرّيتها وحقوقها، وإعادة قراءة الأعمال الكلاسيكيّة والنّصوص المقدّسة وتفسيرها من جديد، وإعادة صياغة المفاهيم حول الجنس والهويّة والمجتمع، هي أمورٌ تغني العقل البشريّ وترفده بما يدفعه إلى أن يكون في حالة بحث دائم، مطوّرا نفسه ومجدّدا؛ هذا إضافة إلى أنّ دعوات النّسويّة ساهمت كثيرًا في تشجيع النّساء على الخروج من قوقعة الصّمت والشّروع في الكتابة والإبداع وأخذ دور في كلّ مجالات الحياة .ومازال هذا المصطلح، موضع شك وارتياب بالنسبة لكثيرات من المبدعات، ومازال بالنسبة لبعضهن تهمة تلتصق بما يكتبنه ومن هنا بقي المصطلح يتأرجح بين مؤيد ومعارض وسط مناقشات في الأوساط النسائية الأدبية بشكل خاص.

إن تناول النص الأدبي من منظور نسوي يستدعي التركيز على وضع النساء في النص كذوات وموضوعات وراويات ومؤلفات، فالقراءة النسوية تنصت إلى الصوت السائد والأصوات الخفية، كما تتأمل سمات هوية الراوية والبطلة والمؤلفة، ومدى تمتع المرأة بسلطة السرد وتمثيل الذات، أي مدى ظهور المرأة في النص وتعبيرها عن حياة النساء والموقف الأيديولوجي الذي يعكسه النص بشأن علاقات القوى الجندرية .كما يتطرق النقد النسوي إلى طبيعة علاقات القوى الجندرية وسياقاتها الثقافية والتاريخية وتقاطعاتها مع علاقات القوى القائمة على أسس عنصرية أو طبقية أو سلطوية بأي شكل من الأشكال، ويتجاوز التحليل النسوي النص فيتأمله في إطار سياق النظام الأبوي والنظام السياسي الذي يحتوي ويتجلي في مختلف البنى التراتبية السلطوية .وفي هذا الإطار العام يسلط النقد النسوي الضوء على تجارب النساء وحيواتهن والسمات المشتركة التي تخلق مساحات للوجود النسوي في مواجهة التهميش والتشويه والصمت والإسكات، وهي مساحات تخلق من حيوات النساء في إطار الثقافة السائدة (subculture)وتجاربهن، ثقافة مشتركة أشبه بثقافة هامشية ،أو فرعية وبمعنى آخر - ثقافة النساء في المجتمع الأبوي .كذلك يهتم النقد الأدبي النسوي بتحليل السمات اللغوية في كتابة النساء من حيث أسلوب التعبير وخصائص اللغة والتصوير المجازي، لتتبع انعكاسات تجارب النساء في الحياة على كتاباتهن شكلا ومضمونا .وهو ما ينطبق بالمثل على علاقة النساء بالأنواع الأدبية، من حيث مدى التزامهن/خروجهن على الأنواع الأدبية السائدة، ومدى ميلهن إلى استخدام أنواع وأدوات بعينها دون الأخرى .ومن هنا

تتضح علاقة النساء الكاتبات بالمجتمع المعني بالكتابة، أي المؤسسة النقدية ومؤسسات النشر والوسط الثقافي والأدبي وجماهير القراء والقارئات.[١١]

والاختلاف في شكل ومضمون ما تقدمه المرأة في نتاجها الأدبي قضية محورية في النقد النسوي. وهناك من يرى أن الأدب الذي تقدمه المرأة بالضرورة يختلف عما يقدمه الرجل، وتدور أغلب المناقشات عن هذا الاختلاف حول محاور خاصة تتعلق بالجانب البيولوجي، وهو الجانب الذي يستخدمه الرجل أساساً لإبقاء المرأة في مكانها، وفي المقابل فإن بعض ممثلات الحركة النسائية يرتكزن إلى هذه الصفات البيولوجية بوصفها مصادر لتفوق المرأة. إضافة إلى الجانب البيولوجي، نجد ناقدات الخصائص النسوية gynocritics وقد لجأن إلى التجربة الخاصة للمرأة، فما دامت النساء وحدهن يعانين تجارب الحياة الأنثوية النوعية، فهن وحدهن اللاتي يستطعن الحديث عن حياة المرأة، إضافة إلى ما تتضمنه تجربة المرأة من حياة انفعالية وفكرية خاصة، فالمرأة لا تنظر إلى الأشياء كما ينظر إليها الرجل، كما أن أفكارها ومشاعرها إزاء ما هو مهم وغير مهم تختلف عن الرجل[١٢].

ويقتضي المحوران السابقان إدراك الفارق المهم بين الجنس sex والهوية الجنسية gender، وهو ما فعلته Kate Millett * حيث استعارت من العلوم الاجتماعية التمييز المهم بين المصطلحين، فالجنس يتحدد بيولوجياً، أما الهوية الجنسية فهي مفهوم ثقافي مكتسب، ولذلك فهي تهاجم علماء الاجتماع الذين يتناولون الصفات الأنثوية المكتسبة ثقافياً كالسلبية بوصفها صفات بيولوجية طبيعية، وترى أن المرأة أحياناً تساهم في الإبقاء على مثل هذه الترجمات[١٣].

وإذا كان النّقد النّسويّ يرى وجوب تناول موضوعات المرأة بطريقة تساهم في بيان التّجربة الانثويّة وتعريف النّاس بها، فإنّ أبلغ من يتحدّث في الموضوعات الخاصّة بالمرأة في رأيه، هي المرأة نفسها، إذ إنّ النّساء وحدهنّ يعانين تجارب الحياة الانثويّة النّوعيّة، وهنّ وحدهنّ اللائي بمقدورهنّ الحديث في شؤون بنات جنسهنّ بتفاصيلها الفكريّة والانفعاليّة الخاصة بهنّ، فالمرأة ترى الأشياء من منظورٍ مختلفٍ مرتبطٍ بذاتها وبتجربتها الّتي تعيشها بنفسها وليس كما ينظر إليها الرّجل، وتختلف مشاعرها وأفكارها إزاء ما هو مهمّ وغير مهمّ، ولذلك يجب أن يقرأ الأدب قراءة نسويّة تدرس التّمثيل

---

(١١) هالة كمال: ٢٠١٥ ،النقد الأدبي النسوي ،سلسلة ترجمات نسوية،مؤسسة المرأة والذاكرة،القاهرة ،،ط١، ص١٧.

(١٢) رامان سلون، النظرية الأدبية المعاصرة، ص ٢١٦.

* Kate Millett: كاتبة أمريكية راديكالية، أحدث كتابها Sexfual politics أثراً كبيراً في عالم النقد النسائي، وقد كانت من مؤسسات المنظمة النسائية المعروفة باسم (Now).

(١٣) نفسه، ص ٢١٨.

الأدبيّ لتلك الاختلافات في كتابة المرأة، ويكون بمقدورها تمييز الجوانب الّتي لم يكن النّاقدُ معنيّا بها أو بملاحظتها أصلاً، على أن تكونَ قراءةً متحرّرةً من تحكّم الرّجل في الخطاب، ومتحرّرةً من الضّعف، والتّردّد، والتّركيز على المبتذل والتّافه، وهي سمات الخطاب النّسائيّ السّائد كما جاء لدى روبين لاكوف(١٤).

والمحاولات التي تقوم بها الكاتبة المرأة للسيطرة على الخطاب ما هي إلا ردة فعل تواجه بها المرأة نمطاً إيديولوجياً بطريركياً حريصاً على إنتاج قوالب مكررة عن رجال أقوياء ونساء ضعيفات(١٥).

ويذهب عناني إلى أن أول مشكلة تصادفنا هو اسم المذهب نفسه وما يرتبط به من مصطلحات نقدية ،ويتساءل قائلا فإذا ترجمت تعبير criticism feminist بالنقد النسائي فماذا عساك تعني .هل تعني النقد الأدبي الذي يكتبه النساء.أم نقد الأدب من وجهة نظر المذهب الذي يدعو إلى تحرير المرأة(١٦).فالنقد الأدبي النسائي من أشد مجالات النقد الأدبي تعقيدا بسبب ترجمة مصطلحاته ترجمة كفيلة بتوصيل المعاني المقصودة إلى القارئ العربي(١٧).

ومع ذلك يفهم من النقد النسوي أنه كل نقد يهتم بدراسة تاريخ المرأة ،وتأكيد اختلافها عن القوالب التقليدية التي توضع مهن أجل إقصاء المرأة ،وتهميش دورها في الإبداع ، ويهتم إلى جانب ذلك بمتابعة دورها في غناء العطاء الأدبي ،والبحث في الخصائص الجمالية والبنائية واللغوية في هذا العطاء(١٨)، هذا إلى جانب دراسة كيفيّة تأثّر المتلقّي بالصّور الاقصائيّة والاختزاليّة للمرأة. (١٩)

وقد انتقل هذا النوع من النقد إلى العالم العربي، في سبعينيات القرن العشرين، فأثيرت بذلك مسألة النقد النسوي في الدراسات العربية، إذ شكلت جدلا بين النقاد العرب، فظهر العديد من الرافضين لهذا النقد بحجة أنه مجرد مقاربة أو تيار سياسي واجتماعي، لم يرق بعد إلى مرتبة المناهج، غير أن هذا لم يمنع وجود العديد من أنصار النقد

(١٤) رامان سلون، النظرية الأدبية المعاصرة، ص ٢١٦.
(١٥) رامان سلون، النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة جابر عصفور، ط١، دار الفكر، القاهرة، ص ٢١٨- ٢٢٢.
(١٦) السابق ،نفس الصفحة.
(١٧) محمد عناني(د) المصطلحات الأدبية الحديثة،مصر،الشركة الشركة المصرية العالمية للنشر،لونجمان،ط،٢٠٠٣،ص١٨٠.
(١٨) إبراهيم خليل ،٢٠٠٣، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك ،عمان الأردن،دار المسيرة للنشر والتوزيع ،ط،١ ص١٣٥.
(١٩). يمنى الخولي: النّسويّة وفلسفة العلم؛ عالم الفكر، مجلّد ٣٤، المجلس الوطنيّ للثّقافة والفنون والآداب،الكويت ، أكتوبر،٢٠٠٥، ص٤٥.

النسوي، والذين اعتبروا أن هذا الأخير خطاب نقدي أو منهج نقدي يتبناه الرجل والمرأة دون التفريق بينهما في هذا الجانب، فكان هدفهم الأساسي دراسة إبداع المرأة من مختلف الجوانب.

لقد قدم النقد النسوي إنجازات نقدية ضخمة ترقى إلى مستوى الثورة النقدية التي تستحق من نقادنا ودارسينا النظر والاهتمام وخاصة في تحليل هذا النقد الجديد للأدب النسائي ،وفي بلورة مجموعة من الاستراتيجيات النقدية التي تمكن الناقد من الكشف عن تيارات المعنى الرمزية السارية في نصوص المرأة الأدبية ،وفك شفرات لغتها الإشارية المعقدة[٢٠]. فالنقد النسوي- حسبما تقدمه جوليا كريستيفا- يفكك النظام الترميزي ويعيد صياغته على أسس جديدة يتم فيها تعريف الآخر، والتعامل معه باعتباره عنصراً مماثلاً، وهنا أيضاً تكمن أهمية كريستيفا في أنها تحدت الكثير من المقولات القديمة الثابتة حول الإنسان بكل ما تنطوي عليه من انتهاك لحقوق الآخر[٢١]. وترفض كريستيفا ، مفهوم الهوية نفسه، بما في ذلك القول بهوية نسوية وأخرى رجالية، باعتبار أن هذا المفهوم ينتمي إلى مرحلة التصورات الثابتة التي سبقت التفكيكية، فهي ترفض أية نظرية تعتمد على مفاهيم الهوية المطلقة بغض النظر عن أساس هذه النظرية (بيولوجي أو اجتماعي أو نفسي). فآليات التوليد اللغوية حين تظهر هذه الفروق، فإنها تفعل ذلك بسبب الجدل بين هذه الآليات وحركة القوى الحريصة على وضع المرأة في المجتمع الأبوي في مكان هامشي[٢٢].

كذلك تؤكد لنا ماري إيجلتون في كتابها (النظرية الأدبية النسوية) خطأ هذا التصنيف، وترى أن العمل الأدبي النسائي هو ذلك العمل غير المقيد بالمفاهيم التقليدية، الذي لا يلقي بالاً لمعايير الرجل، وهو بالضرورة يعكس واقع حياة المرأة بشكل صادق بقصد زيادة وعي المرأة، وإيجاد رابطة قوية تخلق نوعاً من الأخوة في المجتمع النسائي، وبالضرورة أيضاً لابد أن تحمل هذه الأعمال ولاءً لحركة تحرير المرأة، بحيث يشكل الصراع أو الصدام مع الوسط أو المحيط في كثير من الأحيان عنصراً أساسياً في الإبداع النسوي، بل إن النقد النسائي حسب إيجلتون، يفخر بتلك الرواية التي تعكس تجربة اضطهاد المرأة. فالعمل الأدبي النسائي يسعى إلى مقاومة الدمار بدعم وثقة نساء تبشر تصرفاتهن بنظام اجتماعي جديد، وهو يفرض على الكاتبة التحرك ضمن سياسة معينة لنيل القبول، من مثل ضرورة توظيف أدب المرأة لتحقيق ذاتها غير المعتمدة على

---

(٢٠)صبري حافظ :أفبق الخطاب النقدي، القاهرة ،دار شرقيات للنشر والتوزيع ،ط١، ١٩٩٦،،ص٢٤٩.

(٢١)صبري حافظ، أفق الخطاب النقدي، ص ١٥- ٣٦. :

(٢٢) صبري حافظ، أفق الخطاب النقدي، ص ٣٥- ٣٦.

الرجل.[٢٣]

وترى إيجلتون أن النظرية النسوية قد تحركت نحو وجهة جديدة من حيث إنها انتقلت من رفض لغة مميزة للمرأة، فالاتجاه الأنثوي في الكتابة ليس خطاباً مرتبطاً بالمرأة بشكل لازم. وهنا نلحظ ما ذكرناه سابقاً من إمكانية إلحاق الرجل أحياناً في الكتابة الأنثوية، مما يضيع أهمية الحديث عن تجربة المرأة وانعكاس هذه التجربة على كتابتها، علماً بان صاحبات هذا الرأي يعتقدن بأن احتمالات الكتابة الأنثوية تأتي في الدرجة الأولى من قبل المرأة، ذلك أن الكتابة الأنثوية تهدف إلى هدم سيطرة المواقف الذكورية التي استمرت لفترات تاريخية طويلة، بفعل عوامل تراثية متعددة[٢٤].

وجاءت مقولات دريدا لتساهم مساهمة فاعلة في النقد النسوي الحديث، الذي كشف عن تغلغل التصور الأبوي ببنيته السلطوية في المنظور النقدي، مما أدى إلى نفي الآخر المماثل (المرأة)، وتتضح هذه المساهمة من خلال مفهوم (الجدل المستمر بين الإرجاء والاختلاف في اللغة)، فدريدا يرى أن أي بحث عن معنى أساسي ومطلق ونهائي وثابت هو نوع من العبث، وبالتالي فإن التفاعل الحر بين الإشارات اللغوية لا يسفر أبداً عن معنى نهائي أو دلالة نهائية ذات معنى بنفسها، فهنالك تفاعل لغوي حر ومستمر ولا نهائي بين الإرجاء والاختلاف، الأمر الذي ترك آثاره الواضحة في إعادة اختبار المسلمات القديمة، كما كشفت عما تنطوي عليه مجموعة المفاهيم الأساسية الثابتة، وقدم أداة رئيسية تضع المسكوت عنه على قدم المساواة مع المفصح عنه بعد أن يفصح عن الكيفية التي يتم بها تحويل آليات الحضور والغياب من خلال اللغة إلى أدوات تكريس للرؤى السائدة وإلى أشكال مراوغة للقمع والتهميش، وبالتالي لابد من القيام بعملية تحليل جذرية للبنى الرمزية، وإعادة رؤية سلبياتها من الداخل عبر تحليل ماهر للنصوص فيما عرف في النقد الحديث بالتفكيكية[٢٥].

ومن المتفق عليه أن الحركة النسوية مرت بثلاث موجات متتابعة ومتداخلة، جاءت أولها في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين وتركزت حول قضية حق النساء في المشاركة السياسية والتمثيل النيابي بالترشح والانتخاب .أما الموجة الثانية فقد تبلورت ملامحها في سبعينيات القرن العشرين متزامنة ومتأثرة بالحراك الطلابي العالمي بسماته الماركسية وحركة الحقوق المدنية ومناهضة العنصرية، فخرجت من إطار مطالب النساء البيض من الطبقة الوسطى لتتقاطع قضايا العدالة الجندرية مع النضال ضد الطبقية والعنصرية .بينما تمتد مطالب الموجة الثالثة لتركز على مزيد من

([23]) Eaglton, Mary, Feminist literary theory, 164- 167.

([24]) Eaglton, Mary Feminist literary theory, p200- 201

([٢٥])صبري حافظ، أفق الخطاب النقدي، ص ١٥- ٣٦. :

الإصلاحات والتغييرات القانونية في قضايا عديدة تمس النساء كحقوق العاملات، والعنف المنزلي والجنسي، والحقوق الصحية والإنجابية والجنسية، والمناصفة في التمثيل النيابي وفي شغل النساء للمناصب القيادية، وغيرها من المطالب، مع اتسامها ببعد تحليلي وتنظيري ومعرفي أكثر عمقا واتساعا مع تقارب الحركة النسوية كحركة سياسية مع الفكر النسوي كنظرية فلسفية .وقد شهدت السنوات الأخيرة إرهاصات حدوث تحول في الحركة النسوية بما دعا البعض إلى توصيفه بالموجة الرابعة للنسوية في لجوئها إلى التعبير عن الذات وتعبئة الجماهير بالاستعانة بالتطورات التكنولوجية في صياغة ونشر المطالب والحشد عن طريق فيسبوك وتويتر والمدونات، مع استخدام أدوات الضغط الجماهيري كالمظاهرات والمسيرات والحملات .وهي موجة ترتبط بفئة الشباب.. (٢٦)

وهكذا فحين أقترب من نص ما، أي نص، لقراءته من منظور نسوي، أرى أن المقاربة النسوية تستدعي الجمع بين الآتي :

أولا، النظرية الأدبية التي تمنحنا أدوات تحليل النص من منطلق عناصره الأدبية والفنية وسياقه التاريخي والاجتماعي.

ثانيا، النظرية النسوية التي توجه أنظارنا إلى موقع النساء في منظومة علاقات القوى بين الجنسين، فتجعلنا نبحث عن دور المرأة داخل النص بمعنى تجليات علاقات القوى بين الجنسين على مستوى عناصر النص الأدبية وسياقه التاريخي والاجتماعي.

وهكذا تتجلى القراءة النسوية للنص الأدبي في طرح أسئلة منها ما يلي :من يقوم بدور البطولة؟ ما هو دور الشخصيات النسائية في النص؟ وهل هي أدوار فاعلة أم ثانوية مساعدة؟ كيف يتم تصوير الشخصيات النسائية؟ هل يتم تصوير الجنسين في أدوار نمطية؟ كيف يتم تصوير/تنميط الأنوثة والذكورة في النص؟ هل يحدث تطور للشخصيات النسائية؟ وفي أي اتجاه؟ ما هي سمات الهوية وسياساتها في النص؟ من صاحب الصوت المهيمن على النص؟ من يقوم برواية النص – راوي أم راوية؟ هل توجد تعددية في الأصوات ووجهات النظر؟ ومن يتحكم في وجهة النظر السائدة في النص، وفي السرد؟ هل تقوم الشخصيات النسائية بالتعبير عن تجاربها من منظور نسائي؟ أم أن المنظور السائد يعكس الهيمنة الذكورية وقيم المجتمع الأبوي؟ وكيف يتم تصوير الصراع في النص الأدبي؟ هل هو صراع داخلي – أي داخل الشخصية النسائية؟ وما هي أوجه هذا الصراع؟ أم هل هو صراع خارجي بين الشخصية النسائية وشخصيات أخرى تمثل أنماطا مجتمعية؟ كيف ينتهي هذا الصراع؟ هل تخضع

(٢٦) هالة كمال ،النقد الأدبي النسوي ،سلسلة ترجمات نسوية،مؤسسة المرأة والذاكرة،،ط١، ٢٠١٥ ص١٨.

الشخصية النسائية للقيم السائدة، أم تنجح في إيجاد طريق بديل؟ ما أوجه الصراع بين الرجل والمرأة في النص؟ هل يتقاطع الصراع بين الجنسين مع علاقات قوى أخرى كالانتماء الطبقي أو العرقي أو سياق سياسي أو تاريخي معين؟ ما هي أوجه الفعل والنشاط والعمل التي تقوم بها الشخصيات النسائية في النص؟ وكيف تختلف عن الأدوار والأفعال التي تقوم بها الشخصيات الذكورية في النص؟ ما هي خصائص الزمان والمكان في علاقتها بالجنسين؟ وما هي المساحات والأماكن التي تتحرك فيها الشخصيات النسائية – في الحيز العام والخاص؟ وكيف يعكس الزمان والمكان في النص زمانا ومكانا(وبالتالي مجتمعا)واقعيا؟ وإلى أي مدى يعبر عن تقييد أو إفساح لحركة وحرية النساء؟ هل ترتبط الشخصيات النسائية بأماكن مغلقة، مفتوحة، واضحة، غامضة ...وما هي دلالات ذلك؟ وهل توجد علاقة مباشرة أو رمزية بين المكان والشخصيات؟ ما هي الخصائص اللغوية الظاهرة في النص؟ وهل توجد ملامح معينة تتسم بها لغة الشخصيات النسائية في النص – من حيث تكرار بعض المفردات، أو استخدام صور مجازية معينة، أو مستوى ما من اللغة؟ وما هي أهم السمات الأسلوبية المستخدمة في النص مثل مساحات الصوت والصمت والمكسوت عنه؟ وهل يحمل النص نبرة استضعافية، أو استعلائية، أو تحريضية، وما دلالتها؟ ما هي علاقة النص بالنوع الأدبي[٢٧]

النقد النسوي المعاصر على الرغم من تفاعلاته حول النسوية والتركيز على إبداع المرأة لكنه مازال اتجاها مثيرا لتساؤلات وهجمات كثيرة تؤول به إلى التحرر من زخم المصطلحات التي التقطها حوله .

المحور التطبيقي:

الرواية الأولى:

تحاول الكاتبة الفلسطينية رولا غانم في روايتها "لا يهزمني سواي[٢٨]. أن تسرد لنا واقعا موجعا من خلال الأجواء القاتمة التي يعيشها الشعب الفلسطيني، تحكي عن ابن عمّ وجدي وهو علاء فقد طعن جنديّ إسرائيلي بعد إصابته بمرض نفسي فور خروجه من سجن الجلمة، فأصدرت إسرائيل المحتلّة قرارا يقضي بمنع عمل أيّ شخص من أقربائه في مصانع إسرائيلية، والدخول إلى المناطق التي احتلت علم ١٩٤٨، ممّا أفجع العائلة التي كان يعمل معظم أفرادها في الدّاخل المحتلّ ص٤٩. أما شخصيية وجدي في الرواية الذ ي حاول أن يستعرض بطولاته خلال تواجده في فلسطين، ويتباهى بمن

([٢٧]) هالة كمال ،النقد الأدبي النسوي ،سلسلة ترجمات نسوية،مؤسسة المرأة والذاكرة،،ط١، ٢٠١٥ ص١٨.

([٢٨]):- رولا خالد غانم،كاتبة فلسطينية لا يهزمني سواي ، ،حيفا،مكتبة كل شيء ،ط١ ،،٢٠١٨م.

دخل السجن من أقاربه، ليوضّح لسارة أنه ابن عائلة مناضلة ص٥٥.

استطاعت سارة أن تُنسي وجدي موطنه الأصلي ووالدته وابنه وزوجته، فتنته بجمالها وسحرها، رغم مسحة الحزن التي كانت تعلو جبينها، بسبب الحرب التي تدور رحاها ولا تزال في بلدها سوريا، تلك الحرب الغامضة التي انطلقت من ثورة عفوية شعبية غايتها كما كان يبدو إجراء بعض الاصلاحات السياسية في بلد جميل معظم سكانه مدنيون مسالمون، ما كانوا يدركون خطورة ما اطلقوه من هتافات هزّت عروش الأنظمة وخلفت وراءها حالة من الفزع على شكل الدولة المترهل القائم في بلادنا..مما جعل العالم يتحالف ضد هذا الشعب ويحول بلده الى خراب أو يكاد يسويه بمجمله في الأرض ص٦٧

وثمة حالة من الحزن عند ذكر سجن الجلمة الذي يتم فيه تعذيب الأسرى الفلسطنيين حيث يحتوي على غرف سرية تحت الأرض، تدعى الزنازين، وكل زنزانة عبارة عن غرفة صغيرة مترين في مترين، فيها طاقة صغيرة بتسمح للشمس في الدخول، يتخلل هذي المساحة الصغيرة حمام، مع حنفية ماء تستخدم للشرب، والمكان لا يحتوي إلا على فرشة رائحتها كريهة، ويثير في الأسير الاشمئزاز والرعب والشعور بالوحدة، انعدام النظافة والحرمان من الوسائل التي تعمل على اغتيال العقل، ووسائل التحقيق والتعذيب النفسي تتخطى كل الأعراف والقوانين الدولية، بل تتخطى حدود الخيال في إذلالها للأسير، ومن الوسائل التي اخترعوها واستخدموها هناك جهاز كشف الكذب ص٥١

وما أقسى أن يعيش الإنسان الفلسطيني تحت وطأة القهر ففي فلسطين عليك ألّا تحدّد موعدا مع أحد خارج المدينة، لأنّك ربما تستغرق ساعات على الحواجز، وربما تتعرّض للإهانة والتفتيش والاستفزاز من قبل قوّات الاحتلال، أمام هذا الواقع عليك أن تتحلّى بالصّبر، خصوصا عندما تصل حاجز قلنديا، وهو أكبر الحواجز العسكرية التي أوجدها الاحتلال عقب الانتفاضة الثانية التي انطلقت منذ عام ٢٠٠٠. ص١٤"

ثم تبدأ الرواية تحكي لأربع شقيقات "صابرين ،علياء،جمانة،فلسطين " في إطار اجتماعي ينهض بوضع المرأة في فلسطين"كانت تتلاشى كلّ الصّعاب عندما ترى صابرين وشقيقاتها وجه القدس، ويَطَأُن أرضها الطّاهرة، وتبدأ جولاتهن قبل الوصول إلى بيت جدّتهن رفيقة، فتتراكض صابرين وشقيقاتها في شارع صلاح الدين الذي يقع في قلب مدينة القدس، ويلتقي مع شارع السّلطان سليمان المحاذي للأسوار الشّمالية للبلدة القديمة عند باب السّاهرة، ويتقاطع مع شارع الزهراء، وتشتري ما يحلو لها من محلاته التّجاريّة التي تعجّ بالسّيّاح والنّاس من مختلف أنحاء العالم، ص١٥.

ثم تأتي على بطلة الرواية صابرين ومحاولة أمها في الإسراع بزواجها في وقت مبكر "الآن تيقنت صابرين من أنّ أمّها تريد أن تقصيها عن البيت حتى لا تظلّ تؤنّبها

وتراقب تصرفاتها ص١٦

وبسبب قسوة هذه الأم "لم تجد سوى إبراهيم هذا الشاب الذي سيستغل فضائح أمها" فهي في مجتمع لا يبيح للفتيات التحدّث مع الشّباب حتى لو كانوا من الأقرباء، تيقّن إبراهيم من أنّها ستتصل به حتى يخبرها بقصّة أمّها، عرف كيف يستدرجهاص٢٣.حيث كان ص٢٩

وشخصية إبراهيم شخصية مزاجية أنانية يتظاهر بشيء ويخفي شيئا آخر حيث"كان إبراهيم يبدي تعاطفه معها، ويتّصل بها باستمرار، وكانت هي تتمنى أن تجد شخصا يتابع تفاصيلها الصّغيرة، و يحسّن مزاجها المتعكّر، و يخلّصها من نفسها قبل أن تغرق في متاهات تهلكها، أصبح الحديث مع إبراهيم طقسا من طقوسها اليوميّة".ص٣١

فقررت صابرين الزواج من إبراهيم ولم تظن أنها ستكون بطلة لبوح موجع عبر الرواية "لم تكتشف طباع إبراهيم إلّا بعد الزّواج، لم تتوقّع أن يكون بهذه القسوة، أدركت مع الأيّام أنّ نار أهلها أهون من جنّة زوجها. لكن الزّواج حسب عليها، ويجب أن تتكيّف معه، رغم كلّ الصعوبات التي كانت تواجهها" ص٣٣

وما أقسى حياة المرأة التي تخذل من رجل حيث" لم تدرك صابرين حجم خسارتها بخروجها من الجامعة، وظّنت أنّ السّعادة رجل، تحتمي بحضنه كلّ فتاة، استمرّت خطبتها مدّة شهر فقط، وحدّد موعد الزّواج، كان إبراهيم يسابق الزّمن، فهو يريد أن يخلّصها من البيت الذي تتواجد به أمّها ص٣١

مع الأيّام أخذ إبراهيم يعيّرها بأمّها ويشدّد الخناق عليها، حتى لا تسير على نهجها، خلع قناعه تماما، اعتزل التمثيل، سيطر عليها بالكامل، وهي بسبب مماسكه على أمّها التي كانت سبب ضعفها التزمت الصّمت، لم تدافع عن نفسها، كان دوما يتهمّ أمها بأنّها على علاقة عميقة مع جارهم عبد المجيد، ويهدّدها بإفشاء سرّها، ويصف أباها بالنّذل، وهي تتمالك نفسها، وتبتلع جوابها. ص٣٤

والمرأة أيضا يقع عليها ذنب انجاب البنات وتعاير بهن" مرّت ساعات الليل متثاقلة حتى أوشك الفجر على البزوغ، وإبراهيم يتقلب في الفراش، وصابرين شريدة الذهن حزينة، أيام عصيبة مرت عليها، وهي تسمع كلمات قاسية وجارحة وتأنيب، وكأنها هي المسؤولة عن إنجاب البنات ص٤٥

ذات يوم وبعد توسل من صابرين لإبراهيم، من أجل زيارة المسجد الأقصى والدعاء هناك، بعد أن أعلنت إسرائيل المحتلة عن تسهيلات، استطاعت زيارة أمّها بالخفاء فوجدتها كسيرة محطمة، فاقدة شهيتها للحياة، جسدا بلا روح، تبكي وتلعن نفسها وغباءها، وتشتم قلبها الذي جرّها نحو الهاوية، وكان سبب تعاستها، هدّأت صابرين من روعها، ولم تهن عليها وهي بهذه الحالة، رغم أنها كانت سببا في انهيار أسرة بكاملها، سألتها عن خلود زوجة أبيها، فأخبرتها بأنها تحكم وتأمر، وأبوها يخضع لجميع

أوامرها، فتمنت أن تنشق الأرض وتبتلعها. ص٤٦

صابرين كانت تتعرّض لشتّى أنواع الإهانات من قبل إبراهيم، الذي كان يضربها على أتفه الأسباب، مع أنّها لم تترك وسيلة من أجل تغييره إلا واتّبعتها، حتى أنّها حاولت مرارا إغراءه بأنوثتها النضرة من خلال ارتدائها لتلك الملابس التي تثير الرّجال عادة، دون جدوى، لم يعد ينادي لها باسمها بل يا ابنة سهاد، وينهال عليها بالضرب دون رحمة، فيشوّه جسدها ويلونه باللون الأزرق من شدّة الكدمات، وكان لا يتوانى عن فعل ذلك حتى بعد معاشرته لها ص٥٠

والسلطة الذكورية في الرواية سلطة مستبدة كما العدو الصهيوني فنجد إبراهيم يحاول جاهدا أن يفقد صابرين ثقتها بنفسها، وفعلا نجح بذلك، فأصبحت ترى وجهها قبيحا، وفقدت رغبتها في كل شيء حتى الطعام. ص٥٠

وأيقنت مع الأيام أن إبراهيم يعاني من مرض نفسي وبحاجة لعلاج عاجل عند طبيب متخصص، كانت حركاته الغريبة، تشير إلى أنه إنسان غير عادي، أي نوع من الرجال هذا الذي يبصق في وجه زوجته بعد المعاشرة! خاطبت صابرين نفسها

جاء إبراهيم بعد ولادة صابرين بساعة، وتحجج بأن هناك قضيّة أشغلته، وكان وجهه مسودّا أيضا، طلب رؤية البنتين، أذّن في أذنيهما، واقترح على أمّه تسميتهما، فسمتهما شذا وهدى دون أن تستشير زوجته. ص٥٣

وكان حال صابرين وأخواتها من زوجة والدهم أخذت زوجة أيمن الجديدة خلود تقسو على بناته أكثر فأكثر، مما أثّر سلبا على نفسياتهن وتحصيلهن العلمي، تراجعت فلسطين في جامعتها أيضا فهدّدتها زوجة أبيها بالخروج من الجامعة الأمريكيّة، وكان لها ما أرادت حين أقنعت أباها بذلك، فنقلها إلى جامعة القدس المفتوحة ص٤٥

ص١١٨طلبت صابرين الطلاق، فرفض زوجها فرفعت عليه قضيّة خلع، وتنازلت عن أولادها جميعا، بعد أن طفح الكيل معها. صابرين ص١٢٧واستعادت أنفاسها من جديد وحصلت على قسط من الحظّ هذه المرّة. لتتحرر من جديد وتبدأ في تحقيق طموحها وتردد أنا.. لا يهزمني سواي.١٢٩.

ولم تجد إلا صديقتها داليا التي تختلف عن الأخريات حيث "كانت داليا الصديقة الأقرب إلى قلب صابرين تبوح لها بكلّ أسرارها، هي من مدينة جنين وعاداتها وأفكارها قريبة من أفكار صابرين، كانت دوما تمدّها بالعزيمة والإصرار، وتشجّعها على الدّراسة، وتقول تخصّص الصيدلة له مستقبل، أمّا ندى ابنة مدينة بيت لحم فكانت تغار منها، وتحسدها على جمالها، وأناقتها وتخبر زميلاتها بأنّها متكبّرة، وتطلق عليها الإشاعات ص١٨ أما صديقتها فادية متّزنة، عقلانيّة؟ لا تخشى أحدا عند قول كلمة الحقّ، وأكثر ما كان يعجب صابرين بها عدم استسلامها للمرض الخبيث، وإصرارها على الشفاء التّام منه، كانت تتحلّى بالأمل أكثر منها، وتشعر أنّ مصيبتها أكبر منها، وأنّ

الله يوزّع الأقدار والأشياء بدقّة، فقد منحها الصحّة وسلب منها قوّة الإرادة، وابتلاها بالحساسية الزائدة، أمّا فادية فأصابها بالمرض، ومنحها الجبروت وقوّة الإرادة، والله إذا أحبّ عبدا ابتلاه "ص٢٣

أما علياء أخت صابرين تسرد لنا حياتها البائسة حيث عاشت علياء في قرية وفي بيت بسيط مع أهل زوجها ، وضع وجدي المادي لم يتح لها الفرصة لا بالعيش في بيت مستقل، ولا بإكمال تعليمها ، فقد كان يعمل في مصنع إسرائيلي يقع إلى الغرب من مدينة طولكرم بموازاة جدار التوسع الاحتلالي، هذا المصنع غير القانوني والمخالف للاتفاقات الدّولية الذي كان يستغل العمال الفلسطينيين، ويحرث عليهم مقابل مبلغ زهيد، فيضطر العامل للقبول تحت وطأة البطالة ص٤٨

زادت معاناة علياء التي لم تكفّ حماتها عن معايرتها بأمّها، فكانت تحمد الله أنّ علياء أنجبت صبيا، لأنّ البنت ستحمل العار مدى الحياة"ص٥٠

طيب أهم شي تكمّلي تعليمك، شهادتك سلاحك، من بكرة روحي سجّلي بالجامعة. وبالفعل عادت علياء لجامعتها وصارت امرأة سعيدة وعصرية راسخة القدمين في هذا العالم، بعد أن هزمت الخراب الذي حلّ عليها، رمّمت نفسها من الداخل، حرّمت البوح على نفسها، أتقنت فنّ التجاهل، فاستقلّت في شقة صغيرة ص١١٢

كانت علياء تعيش في ظلمة حالكة لا ينجلي سوادها، انحدرت كل أحلامها، هزمها الزمن وداس عليها بأقدامه، فكانت مثل ملايين المخنوقات بسبب روايات الحزن والأسى، كانت تجلس مع نفسها تتناول المهدئات، تحدث ربها، تشكو إليه همومها، وتطلب منه أن يعينها على مصائب الحياة ص٥٩

دخلت علياء لغرفتها وطرقت الباب خلفها بقوّة، رمت بجسدها على السرير وأخذت تخفق وتبكي بقوّة كما الأطفال، وتلعن الزمن الذي قسا عليها ولم يرحمها ص٨٩

علياء "غضبت جدّة وجدي بعد سماع الحوار وأخذت تدعو على كنتها وابنها

لم ينتظر كي تنهي كلماتها وقبل أن تغلق الجملة صفعها صفعة ارتعدت لها أركان البيت، وسط ذهول أمّه التي وصلت خلفه ولم تأخذها تجاه البنت أيّ شفقه، فقط كانت تراقب ما يحدث، وتسجّل على لوح خيالها ما يصيب المرأة من عنف ابنها، بينما كان هو يمسك بها من شعرها ويسحبها بقوة باتجاه غرفة النوم، مشت معه بقوة جرّها من شعرها وهي تصرخ ص١٠١

أمّا فلسطين الأخت الثالثة لصابرين فلم تكن أسعد حالا ووقعت كما وقعت أختها من قبل فكانت فريسة لرضوان، الذي استطاع مع الأيام أن يجلب أنظارها نحوه، ويقنعها بأنه يحبّها ويريد الزواج منها، وبسبب الوضع الصعب الذي تعيشه التفتت إليه، مع أنه يكبرها بكثير من السنوات ص٥٩

زواج فلسطين في وقته المحدّد بحضور صابرين، علياء والسيّدة منيرة وباقي العائلة

والأقارب، وكان كلّ شيء كما أرادت وأكثر ، فبدت ملكة حقيقيّة وهي تدخل على موسيقا كلاسيكية رائعة، تشبك بيد فارس أحلامهاص٩٥

فلسطين ،كلهم كم جملة كتبتهم لرضوان، هو اللي استدرجني

جمانة هي الأخت الرابعة لصابرين والتي كانت تردد دائما ،أنا ضحية أمّ فاشلة، وأب هامل، ومجتمع بائس، ورجل مريض. هذه أنا ص٦٤

ولم تدم سعادتها بعد فترة من الزواج اكتشفت الدّولة زواجهما، فطلقتهما على الفور، فالقانون هناك يمنع زواج المريض النفسي، وتمّ تسجيل جمان في بيت للنساء، وهو بيت مخصص لمثل هذه الحالات تقوم الدولة على رعايته، وتعتني بنزيلاته وتصرف عليهنّ، تأقلمت جمان مع المكان، شعرت بطمأنينة بعد أن رأت شتى أنواع العذاب في بيت طليقها، لكنّها صدمت بحمل لم يكن بالحسبان ص٥٣

اقترب موعد ميلاد جمان في إسبانيا، وابتسمت لها الدنيا من جديد، فبقدوم جنينها كل شيء تغير، شكل الزمان، وجه الأرض، لون السّماء، حملت روحا جميلة بين يديها، جعلت فرحة الأمومة تتدفّق في داخلها كما الأنهار، تلبس طفلها الحبّ والحنان ويلبسها الأمل والأمان، طفل جميل كالبدر يفوح عذوبة وطهر ونقاء، استطاع أن يحوّل بيتها لبستان ورود، وكذلك رأفت الذي أصبح بالنسبة لها مرفأ أمان، فعوّضها عن كل ما خسرت وفتح شهيتها للحياة، وكتم الجرح الذي فتحته الأيام بقلبها، وملأه بالفرح والجمال حين قرّر الارتباط بها رغم فارق السنّ الكبير" ولم تجد حلا إلا الابتعاد لخلق مناخ جديد تعيش فيه حيث شعرت جمان براحة متناهية في غربتها، بعد أن وجدت من يستمع لها، وينتشلها من حزنها، فالنفس الكئيبة المتألمة تجد راحة بانضمامها إلى نفس أخرى تقاسمها الشعور، وتشاركها الإحساس، يستأنس الغريب بمن مثله في البلاد البعيدة عن مسقط رأسه، أخذت تجهّز لطفلها الصّغير برفقة صديقها رأفت، وشعرت بالدفء في بلد يخلو من جميع أهلها صص١١٩.

فالمرأة الفلسطينية قد شاركت في الحياة الاجتماعية والسياسية والأدبية في المجتمع الفلسطيني، في جميع جوانب الحياة المختلفة التي منحتها الظروف السياسية فرصة للخروج المبكر للحياة العامة من خلال الانخراط في الحركة الوطنية. هناك مجموعة من الكاتبات الفلسطينيات ومنهن الكاتبة ساهمن بنشاطٍ في دفع الرواية الفلسطينية نحو النضج والارتقاء، والتعبير عن الواقع الصعب للمواطن الفلسطيني الذي يرزح تحت الاحتلال الصهيوني "أما قهر المجتمع فاستطاعت صابرين وأخواتها أن يغيرن حياتهن للأفضل بإرداة قوية اتسمت بها المرأة الفلسطينية .

الرواية الثانية :

رواية صيف مع العدو للكاتبة السورية شهلا العجيلي[٢٩].. وفي الرواية يمتزج الاجتماعي السياسي ، بالخيالي الروائي في تشريح للواقع العربي من خلال أحداث زخمة التصقت بالرواية ؛ فما تحكيه الرواية يشير بالضرورة إلى معنى خاص، مرتبط بهوية الشخصية الروائية، وبالأحداث التي تقوم به،ا أو التي تقع عليها، وأن ذلك يجري في مكان وزمن أو محيط بشري اجتماعي له خصوصية ما.

الرواية باعتبارها العمل الأضخم والأقدر على احتواء الحدث عبر السرد والحوار والشخوص وعبر المساحة الفنية والشكلية حازت على التأثر الكبير بالأحداث السياسية حيث مرَّ العالم العربي بلحظات أليمة من العنف والقتل والدمار من أجل الدفاع عن حقوقه من الحرية والعدالة الاجتماعية وصارت هذه الأحداث المادة الخصبة للروايات وتزويدها بمضامين جديدة

تحاول الكاتبة أن تُعيد صياغةَ ملامح الواقع المكتنز بكم هائل من الأحداث الشائكة التي تطول البلاد العربية وتقف عند بلدها سوريا حيث ترصد لنا بعين لاقطة لوحاتٍ حية من الواقع السوري وهي ممزوجةٌ بآهات الحياة ومنغصاتها. النظام السوري هو المسئول الأول عن تخريب البنى الاجتماعية السورية مثل ما هو المسئول الأول عن موت ما يزيد على مليون مواطن ونزوح عشرة ملايين ودمار المدن معظمها، وتلف البنى التحتية معظمها.

ومن دوافع الشتات التي تتسم به الرواية "النسويَّة حيث"يكون المنفى والشتات دافعًا للمرأة للخروج من أزمتها الأنثوية ،ومحاولة إثبات ذاتها حيث تتقاطع تجربة الشتات بوصفها مجالا لمصادرة الهُوية السياسية مع مجال الهوية الجنسوية الثقافية للأنثى أو عدم المساواة الجنسية في حين تبقى بعض الكتابات رهينة هاجس العودة للوطن أي رفض الأوطان البديلة[٣٠]

يسجل للثورة السورية في المستوى الثقافي، بأبعادها الاجتماعية والسياسية، أنها فتحت الباب واسعًا أمام مغامرة الكتابة الروائية لرفد المنجز السردي بعدد لا يستهان به من الأعمال الروائية الجديدة بالقراءة والدرس منها هذه الرواية حيث تكشف عن طاقة تمثيلية تتنوع تشكّلاتها الموضوعية والتعبيرية، وعن منظور سردي تتمثل قراءته وكشوفاته مجموعة من الأحداث ذات الطابع الملحمي، ومجموعة من الشهادات عن

([٢٩]) د. شهلا العجيلي :كاتبة سورية، ،رواية "صيف مع العدو ،د. ،منشورات مجاز،عمان،الأردن،ط١ ، ٢٠١٨.د

([٣٠]) رامي أبو شهاب : ٢٠١٧م ،الممر الأخير"سردية الشتات الفلسطيني منظور ما بعد كو لونيالي،المؤسسة العربية للدراسات والنصر، لبنان ط١ "ص١٢٦.

تفاصيل حياة مسكونة بالوجع والمحو والاستلاب.

تحفل الرواية بلحظة تاريخية سورية مفارقة ،يحتشد فيها استلاب الكائن مع موت المكان، مثلما يتحول فيها زمن الكتابة الى زمن محكوم بالواقع ،وموته، إذ تتمخض أحداثها عن مظاهر ورؤى تُحيل إلى سيمياء الخراب، وتُفضي إلى التقاطات تتفتح عبرها معانٍ شوهاء للوجود، وبما يُعطي للجهد السردي مهمة استثنائية في توصيل الرسالة وفي فتح أفق تتفجر عبره الكثير من شحنات التخيّل، ويتوافر على تقنيات سردية لتنمية الاجتهاد الروائي في التحرّي عن محنة الكائن والمكان، وفي الإبانة عن عدمية الزمن.

وهكذا وسِم الواقع السوري بنشر التطرف والعنف والإرهاب حيث استخدمت الإدارة الأميركية سياسة التجاهل وغض النظرعلى الجرائم ضد الإنسانية ،وجرائم الإبادة التي يرتكبها النظام ضد الشعب السوري الثائر؛ والتي كانت السبب الرئيس ،والأساس في دفعه ،ومعه ميليشيات وعناصر شيعية عابرة للحدود من لبنان والعراق وغيرها من الدول ؛ في أن يستمر في هجماته الوحشية على المدنيين باستخدام كافة الأسلحة بما فيها السلاح الكيميائي، كما حولت مسار الثورة حيث قامت السياسة الأميركية على تحويل اتجاه هدف الثورة السورية من سقوط نظام الأقلية الطائفي المستبد، وإقامة دولة النظام الديمقراطي ،والمواطنة لكل السوريين ، إلى نزاع أهلي طائفي ،وحرب ضد التطرف والعنف والإرهاب؛ لدفع الشعب السوري إلى الموازنة بين الأمن ،وبين الفوضى والاضطراب في عهد الثورة، بغية إعادة إنتاج النظام .هكذا تفعل شهلا العجيلى، تأخذنا إلى الرقّة، مدينتها الصغيرة، النائية، والمدمّرة، لنكتشف فيها العالم على اتّساعه، لذا سنجد الإهداء مخصّصاً فى الصفحة الأولى: " إلى الرقّة، كما ستبقى فى ذاكرتى". نكتشف عن طريق (صيف مع العدوّ) مدينة الرقّة، مدينة عجيبة، جميلة وغنيّة وفيها بشر لهم حياتهم الخاصة وأحلامهم وقصصهم، مدينة أنتجت العديد من العلماء والكتّاب والفنّانين، وبقيت مجهولة لعامّة الناس لسنوات طويلة قبل أن تعلن عاصمة للدولة اسلاميّة وتدمّر بطريقة وحشيّة ومفجعة.

تبدأ الكاتبة روايتها بيوم عاديّ، هواؤه رطب، محمّل برائحة معدنية لسفن شحن نهريّة وسمك مشوي، تصل من خلف ستائر بيضاء في شقّة في شارع النهر في مدينة كولونيا الألمانيّة، حيث يظهر الجسدان النائمان للميس أو لولو المرأة الأربعينيّة التي وصلت لتكمل دراستها في التاريخ هربًا من الحرب في سوريا، وعبّود ابن الجيران، الشيف الشهير، والذي يسكن تلك الشقّة منذ مغادرته براغ حيث درس، وحيث أصول أمّه التشيكيّة، عبر هاتين الشخصيّتين نسافر إلى الرقّة المدينة السوريّة المدمّرة التي استولت عليها داعش منذ العام ٢٠١٢، لنعيش حكايات متعدّدة عبر أصوات راويات ثلاث: لميس، وأمّها نجوى، وجدّتها كرمة. تنقلنا كلّ منهنّ إلى حقبة وإلى جغرافيا، بحيث

نجوب في القطسنطينيّة منذ حرب القرم بين روسيا والإمبراطوريّة العثمانيّة، ثمّ نذهب إلى ثورة ١٩٣٦ ضدّ الإنجليز في فلسطين، ثمّ إلى الحرب العالميّة الثانية، إذ تنضمّ كارمن الكاتبة الألمانيّة الصديقة إليهنّ، لتروي أيضًا حكايتها، فتأخذنا إلى أوروبا: من دانزيج، إلى فرانكفورت، إلى دمشق، ومن ثمّ كولونيا.

تعود بنا "لميس" المرأة الأربعينيّة إلى طفولتها فى مدينة الرقّة السورية، فتروى حكاية جدتها كرمة، التى كانت راقصة فى فرقة بديعة مصابنى الاستعراضية الشهيرة، فتقودنا إلى غرف الفنّ والمتعة والعشق؛ ليستقرّ بها المطاف في الرقّة المدينة المنسيّة النائمة على كتف الفرات، والتي تغطّ في ظلام دامس وذلك في أربعينيّات القرن العشرين، ؛لنتعرّف إلى منمنمات الحياة الاجتماعيّة وقدرة النساء على التكيّف من اجل الحبّ أو من أجل العائلة، لكن من غير أن يفقدن الاستمتاع بأسرارهنّ التي تمنح الحياة بهجتها ولونها، تكشف لنا نجوى عالم الثمانينيّات في سورية بكلّ ما فيه من ضغط سياسيّ اقتصاديّ وحياة اجتماعيّة دافئة في الرقّة، وبكلّ السواد الذي يمكن أن يلتصق بروح امرأة متروكة من قبل رجلين شقيقين، والتي ستعثر أخيرًا على حبّ عظيم يشقيها ويشقي ابنتها لولو حين تلتقي بنيكولاس الألماني أستاذ الفهم الجماهيري للعلم في جامعة ميونخ، والذي ينجز أبحاثه في الرقّة عن عالمها الفلكيّ البتّاني، تنقلنا الرواية إلى عالم النجوم والمجرّات وإلى الرحلة السوفيتيّة السوريّة إلى المحطّة الفضائيّة مير في العام ١٩٨٧م.

ونعيش مع لميس ورفيقها عبود حبكة بوليسية روائية، لا تنفك أسرارها إلا مع نهاية الرواية.

سنمضى مع الحكايات الشائكة للآباء والأبناء، وسنتعرف إلى تفاصيل حياة النساء، وأعماقهن المعتمة، ونسمع حمحمة الخيول، مع وقع خطى نيكولاس أستاذ الفهم الجماهيرى للعلم فى جامعة ميونخ، والذى جاء متتبعاً آثار الفلكى العربى البتانى، وباحثاً عن مرصده فى مدينة الرقة، ليقدم السرد بصوته ثيمة معرفية قيمة تتعلّق بعلم الفلك، يمثل الخال نجيب، الذى سمى على اسم الفنان نجيب الريحانى أحلام جيل من شباب ستينيّات القرن العشرين ومآلاته، وانكساراته، وسينقلنا إلى جغرافيا منطقة الفرات، وتاريخها العريق، وكشوفاتها الأثريّة.

تصل الساردة إلى كولونيا بعد المواجهات الأخيرة فى الرقة بين داعش وقسد، حيث سيستقبلها الرجل الذى كان سبب شقاء طفولتها، وسيعتنى بها، وكذلك ستفعل شقيقته كارمن الكاتبة الشهيرة، والتى ستحكى حكاية عائلتها التراجيديّة التى ترجع إلى الحرب العالميّة الثانية، من دانزيغ البولنديّة إلى فرانكفورت فكولونيا. ستدخلنا كارمن أيضا إلى خزانة أسرارها، وتعرّفنا إلى رجالها الثلاثة.

من أجواء الرواية: "لقد أحببتها كثيرا بعد هذا الحديث الطويل! أخذتنى إلى بلاد

وعرّفتنى إلى عباد، وعلّمتنى أنّ هناك بشرًا يمكنهم، من أجل الحفاظ على ذواتهم، أن يهربوا من الجنّة، وكنت حتّى ذلك الوقت أعرف أنّ البشر يطردون من الجنان فحسب! مسّدت شعرها من منابته وعقصته إلى الخلف لتنهى جلستنا الصباحيّة الفريدة، وقالت: فى هذا العالم رجال رائعون، لكنّنا لا يمكن أن نحظى بهم جميعاً فى حياتنا، مثلما لا نستطيع أن نحصل على وجوه النرد كلّها فى رمية واحدة!".

رواية "صيف مع العدو" خريطة سفر تقودنا فيها مدينة صغيرة وبعيدة إلى العالم الواسع وراء البحار، بل إلى الكواكب الأخرى كما فعلت الرواية التي عنيت بالأفراد، وأكّدت مركزيّتهم، وأضاءت مصائرهم، وجعلت من الحروب والسياسة والتاريخ محرّكات تعمل طوال الوقت في غرفة معتمة لتضيء الحياة على شواطئ الفرات والراين وبحر البلطيق، وفي كنائس أوروبا القوطية وكنائس الجزيرة السوريّة السريانيّة والعربيّة.

الرواية تسعى لأن تكشف لنا مراوغات التاريخ، والأوهام القاسية التي قد نبني عليها حياتنا، والتي حين نتحرّر منها ننهار؛ ولتكشف أيضًا أنّ الإنسان لا يعني شيئًا بلا مكابدات وأسرار.

الرواية الثالثة :الكاتبة اللبنانية لنا عبد الرحمن وروايتها قيد الدرس[٣١]. .

بعد روايتها " ثلج القاهرة"، تعود الكاتبة إلى أجواء بيروت فى عمل سردى طويل يرصد حياة أكثر من جيل، ويمتدّ زمن الرواية إلى ما قبل الحرب اللبنانيّة ويستمرّ إلى ما بعدها ،من بيروت فى سبعينات القرن الماضى حتى عام ٢٠١٢. وهى بذلك تضمر أن تكون "ملحمة" لزمن تاريخى موسوم بسؤال الهويّة على خلفيّة الشتات. الشتات بسبب الحروب والإقتتال والتهجير .

إذ يتذكر حسان أن السيارة التي أقلتهم في هروبهم من بيروت إلى دير السرو توقفت عند نقطة تفتيش، وأن رجلًا يرتدي زيًا عسكريًا مموهًا طلب بطاقاتهم الشخصية نجد فيها رواية المهمشين الغرباء في بلدهم لبنان، الذي لا يعترف بمواطنتهم، ويؤجل البت بها، ويضعهم في حالة تائهة، فلا حقوق لهم، رغم أنهم لبنانيون أبًا عن جد. هؤلاء ينتمون إلى القرى الجنوبية السبع التي احتلتها الصهاينة في حرب ال٤٨ وهجّروا أهلها؛ ليضيعوا على امتداد سنوات، وقد وضع مصيرهم تحت حالة مزمنة وصفت بـ (قيد الدرس)!

تتبع الرواية مصير أفراد عائلة " عبدالله"، الجدة سعاد وإبنتها نجوى وأولاد نجوى وأحفادها جدّته سعاد وقريبتها نجمة أخرجتا هويتهما اللبنانية فيما أمه نجوى مدّت بطاقة

([٣١]) لنا عبد الرحمن : كاتبة لبنانية ،رواية ،قيد الدرس" " بيروت،دار الآداب،ط١ ،٢٠١٦م

قيد الدرس"[٣٢]،و تمضى الأحداث من فلسطين إلى بيروت، إلى فرنسا والعراق، ثم بيروت مرة أخرى. الجدة سعاد تزوجت من عواد الكردي، المزواج، وابنتها نجوى تتزوج من باسم، وهو مقاتل من " القرى السبع" يحمل هوية قيد الدرس؛ أما أولاد نجوى الأربعة فلا يجمع بينهم أى شيء. وبين التشرد وفقدان الهوية، والبحث عن الإنتماء يظهر وجه الإرهاب القاسى تاركا سؤالا كبيرا عن حقيقة انتماء الأبطال وهويتهم، كما يحضر المكان بكل أبعاده ليحرك الأحداث والأشخاص والحكايات والأقدار.

من أجواء الرواية لكن الحياة لم تمض بهذه السلاسة؛ فى إحدى الليالى ارتفع صوت نجمة، تطلب النجدة لإنقاذ ابنتها، الكهرباء مقطوعة فى كل المنطقة، ونجمة تنادى على الجيران كى يحضروا سيارة لنقل جمانة إلى المستشفى، بعد أن وقع قنديل الكاز على رأسها، فأحرق شعرها ووجهها. المستشفى، الذى تم نقل جمانة إليه فى "برالياس" لم تكن فيها تجهيزات كافية لإسعاف مثل هذا النوع من الحروق، لذا عادت جمانة إلى البيت بعد ثلاثة أيام بوجه ملفوف بالشاش الأبيض، ولما أذِن الطبيب بنزع الشاش، ظهر التشوه كيف دمر جزءا من وجهها الأبيض الجميل، صار لجمانة وجها ممسوخا، منقسما إلى جزءين: الأيمن جميل ومعافى من آثار الحريق، والأيسر مشوه بالكامل.

وتسيطر شخصية جمانة كأكثر شخصية نسائية تناثرت حولها أحداث كثيرة في الرواية ترصد الكاتبة بعين لاقطة آلامها وأوجاعها .ومنها... ازدادت جمانة عزلة وصمتا، تحبس نفسها فى المطبخ طوال النهار وخلال وجود ضيوف عند أمها. أرادت نجمة استدرار العطف بمصيبة ابنتها، لكن جمانة لم تطاوعها، فكانت تصرخ فى وجه أمها لو ألحت عليها بالدخول، أما حين تضطر لمغادرة البيت كانت تضع نقابا يخفى وجهها..

لم تعاود جمانة- بعد تلك المصيبة- تحرشاتها بي، تجاهلتنى تماما، وحين دخلت ذات مرة إلى الغرفة وهى وحدها، هددتنى بأنها ستصرخ وتفضحني، حاولت تهدئتها، لكنها قالت إننى أشفق عليها، وأنها تدرك جيدا أننى لم أحبها يوما، وأنى أحب نسرين لأنها متعلمة مثلي.

بعد تلك الليلة هربت جمانة، لا أعرف إن كنت أنا السبب فى هروبها. انتشرت شائعات كثيرة، قيل إن نجمة باعتها لثرى عربى عرفته عن طريق الشيخ الجنزوري، أخذها معه مقابل أن يجرى لها عملية تجميل تعيد إليها وجهها السابق..

قيل إن جمانة هربت وحدها، لأنها لم تعد تطيق نظرات أهل المنطقة، وقيل إن نجمة أعطتها لطبيب تجميل فى بيروت كى يجرى عليها تجاربه لقاء بعض المال. قيل الكثير، لكن ما حدث حقا ظل طى الكتمان، حتى ظهور جمانة بعد عدة أعوام من دون آثار

[٣٢] - ، لنا عبد الرحمن : ،٢٠١٦م ،قيد الدرس" " بيروت،دار الآداب،ط١ ص١٧.

للحريق على وجهها. لم تكشف عن سرها، كانت تضحك تلك الضحكة التى أعرفها جيدا وهى تقول: "ما مهم شو صار.. المهم رجعت حلوة متل زمان..مش هيك. . وبحسب باشلار: "يوجد نمو كينونة في كل وعي لشيء ما"؛ لأنّ الوعيَ معاصرٌ لصيرورة نفسانية نشيطة.حيث تشي المجموعة بحضور وعيٍ متعاظمٍ يعقد السرد ويجريه على أنين البوح عبر خيوط دقيقة واصلة بين أطياف الذاكرة ،وهذيان اللحظة.وهكذا تمضي بنا الرواية لنستمع إلى أنين الأنثى في شخصياتها النسائية كـ:نجوى وجمانة...في خيط سردي محكم لنص إبداعي حيث إن الكتابة الإبداعية هي الكتابة التي تُسخرُ الإبداعَ الجمالي ؛لرصدَ الواقع منفتحًا على اللحظة الراهنة بكل أمكنتها وأزمانها العابرة.

فالرواية ما زالت تطرح سؤال الهُوية المهترئة وما أكثر أن تُطمس هوياتنا في زمن متهالك ملئ بأنين الحروب.

الرواية الرابعة : تعد رواية بياض ساخن[٣٣] للكاتبة سهير المصادفة من الكتابة السردية النسوية، وقد شغل السرد النسوي مكانًا رصينا على مستوى الكتابة الإبداعية في الأونة الأخيرة ، فالكاتبة ليست تقليدية مهتمة بقضايا عامة، أو رومانسية مشغولة بمحور ذاتها فقط، ولا واقعية تكرس كتاباتها نموذجا نقديا لسلبيات مجتمعها، إنها كاتبة حداثية تجاوزت هذه المراحل، وعايشت مرحلة الاغتراب المعاصرة، ومعاينة الأسئلة والهواجس الكبرى التي تؤرقها وتشعرها بالاغتراب عن الذات، والآخر، والاغتراب عن المكان، فنجد لها القدرة على التعبير عن خصوصية هذه التجارب الإبداعية وربطها بنسيج قوي لكل ما تحتاجه كتابة الرواية من صياغة رؤى قادرة على التشكّل في قالب فني.

الهواجس في اللغة" ما خطر بالبال ووقع في القلب من هم أو غيره ,واشْتَدَّتْ بِهِ الْهَوَاجِسُ : مَا يَخْطُرُ مِنْ أَفْكَارٍ أَوْ صُوَرٍ بِبَالِ الْإِنْسَانِ نَتِيجَةَ قَلَقٍ أَوْحَيْرَةٍ أَوْ هَمٍّ أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ شَيْءٍ مَّا.

هذه الكاتبة تقول بطلتها عبلة في الرواية لشحاذة تسألها" "بالله عليك دعيني أرعى تهيؤاتي" فنحن أمام شخصيتين "لولا،وعبلة" لبطلة واحدة "عبلة" مريضة بالفصام ،

من هذا المنطلق سنمضي في تحليل البنية الروائية .

الإهداء في الرواية"لا تحزن يا أخي المختلف فالرسوم الموجودة على أجنحة فراشة لا تتكرر عند غيرها من الفراشات "ينبئ الإهداء عن اختلاف الرؤى باختلاف الشخصيات ،فنجد مثلا عبلة لديها ثلاثة أبناء"أحمد،وإبراهيم،وأمجد" ،كل منهم مختلف عن الآخرفي أفكاره ومعتقداته.

([٣٣]) د.سهير المصادفة : ،كاتبة مصرية ،رواية بياض ساخن ، الدار المصرية اللبنانية ،،ط١ ، ١٩١٥، م ،

.

تأتي البنية السردية معبرة عن ما تسرده الكاتبة وفق نظرتها للواقع وهي بين قبوله ورفضه ترسم نسيجا حكائيا يمتد سنة كاملة ٢٠١٢ وهي سنة عاشت مصر فيها أحداثا جسيمة وسط أجواء صاخبة ترويها الكاتبة على مائدة الحكي.

يأتي عنوان الرواية "بياض ساخن متشظيا معبرا عن مجموعة نصوص منتمية لأجناس متنوعة وهذا ما تميز به النص ما بعد الحداثي وهذه النصوص المتشظية ألصقتها الكاتبة إلى عالمِها الروائي ولكن بكتابة واعية لذاتها تتآذر مع ما تخلقه الكاتبة من سرد أكثر تحررًا وجرأة ،في أفكاره، ليعري الواقع الذي وهنته الأزمات الاقتصادية ،والظروف السياسية فأضحى الإنسان فيه مؤرقا لكل ما يحيط حوله.

وتحيلنا الكاتبة لذلك فتقول"أحاول نبش فروة رأسي لإخراج مخي لأتأمله وأتحقق ما يدور فيه الآن ...مجرد سائل يتشظى من درجات اللون الأبيض الساخن اللانهائية ،أشعر بمقدار حجم لهيبها كأنها خارجة من فوهة بركان لن يسعفني مداد كل الأقلام المتاحة أو الأوراق...فالمشاهد تأتي كاملة ثم سرعان ما تغيب في درجة من درجات هذا البياض.وتقول :"هل زحف البياض الساخن على مخي عندما باغتني اليوم من مخبئه"وكأنها تتداعى عليها كل الذكريات الأليمة فتفاجئها وتتربص بها.

وما زال البياض الساخن هاجسا مقلقا لها ويتكاثر هذا البياض الساخن ويبلغ أشده "وشعرت بهذا البياض الساخن المتأجج الذي يتناسل في مخي ويجعلني أرى الناس والتفاصيل وكأنني أراهم خلف ستائر بيضاء ،ستائر تفصل بين عالم لي وحدي وبين عالم يقفزون فيه قفزات لا أفهمها"

وتسقطه على الواقع الراهن "إن البياض الساخن يتكاثر ويواصل زحفه ليمحو الرجل من على الستارة وما تكدس من قمامة على جانبي شاعر ضيق في كرداسة".

وتضم لمكان كرداسة شيئا إيجابيا فتقول"وكلها مشغولات يدوية أعرف أنها باهظة الثمن وأظن أنها مصنوعة من كرداسة ..."فالفضاءات المكانية في الرواية تتسع لأحداث كثيرة تجتر منها ذكرياتها بحلوها ومرها وأفرحها وآلامها.

جاءت لغة الرواية في نسيج لغوي مختلط يجمع بين الفصحى والعامية فمثلا تذكر الكاتبة بعض المأثورات الشعبية جاءت بلغة عامية معبرة عن الواقع المعاش داخل أسوار المعتقل الاجتماعي الذي يكرس للعادات والتقاليد لبعض من يميزون نوع الولادة ذكر أم أنثى فتقول" لما قالولي دي بُنية ...وقعت الحيطة عليا"

وتقول من المأثورات الشعبية أيضا لأخيها مجدي "اللي تتغير محبته تتغير مخدته"

وتآزر الشعر الفصيح معبرا :بقول عنترة:يا عبلُ حُبُك في عظامي مع دمي /لما جرت روحي بجسمي قد جرى.

وعالم الشعر الذي زجَّت به الكاتبة في الرواية فهو عالم ساحر غامض ملئ بالأحاسيس والمشاعر الفياضة؛ ليستدعي وجداننا الشعر وجمالياته ورؤيته للواقع. فكل

هذه النصوص واستدعائها مرهون بوظيفتها السردية.

والقرآن الكريم قوله تعالى" رب اشرح لي صدري"ويسر لي أمري وأحلل عقدة من لساني، يفقهوا قولي" ودعاء الرسول محمد صلى الله عليه وسلم واستغاثته "اللهم إيك أشكو ضعف قوتي"

البطلة في الرواية تكره كل ما يحيط بها ، أمها جدتها ، عمتها فاطمة "يوم ولادة عبلة كانت نتيجتها تسليم عبلة لعمتي بعد السبوع لتعتني بها خصوصا أن أمي قررت ألا ترضع مواليدها خوفا على جمال ثدييها وهكذا تفرغ أبي لمعالجة أمي بعد أن كادت تموت عندما عايرها -دون قصد منه- بجنون أبيها"

تصف أخيها مجدي التوني برجل لا يحب أحد فهو"يجيد مدارة الرقة والابتسامة والحنان ولا يحب احتضان أحد خصوصا أنا"

كما أنه لا يكترث بأحد" تقول بطلة الرواية لأخيها "أختك الكبرى عارية في الشوارع وأنت تفتري عليها وتدعو عليها يا مجدي لا تدعو عليها أمامي"

وتتداعى هواجس عبلة :"أتأمل السقف العالي ككل أسقف المباني القديمة في الزمالك وأتأكد أن نجفته العملاقة ليس بها شبل صغير مختبئ لينقض عليّ بين لحظة وأخرى"

بطلة الرواية متوجسة وخائفة دوما بالرغم من ثقافتها واتقانها لخمس لغات ومن الخوف ما تربت عليه عندما يرن في أذني تحذير عمتي فاطمة بألا أبكي في الحمام حتى لا يلبسني أحد الجان"

ونجد ها أيضا تقول:"أسحب الإله"مين "ملفوفا في منشفته من تحت السرير ورأسه في الحقيبة فلن أتركه هنا بالتأكيد حتى أفكّ اللعنة التي ألقاها عليّ"

وما زالت غائبة عن الوعي "لماذا لا تناديني هذه الفتاة باسمي حتى أتذكره وأنا كم أكره كلمه مدام هذه " تربط الكاتبة بحذق ومهارة بين مرض عبلة الذي اكتشفته بعد موت والدها بشهرين ظهيرة يوم جمعة وبين كلمات القاموس التي استنفدها الثوار في الميادين الخاصة بيوم الجمعة لديهم" جمعة الغضب،جمعة الكرامة،في حب مصر،حق الشهيد،مليونية حماية الثورة،نبذ العنف..."

جاءت بنية الرواية في عشرين فصلا مقسمين بين"لولا،وعبلة"ثم فصل أخير غير معنون لينكشف المستور ونجد أننا من بداية الرواية أمام شخصية واحدة ،كما تأتي "عبلة" معظم مقولاتها بصيغة ضمير الغائب "هي " إمعانا في إسدال الستار على أفعالها وتقول على لسانها في الرواية "ما زلت أرى الطفلة التي كانت تسير بين سرب المشردين وهم يواصلون اقتفاء أثري هل هذه الطفلة هي المسئولة عن زحف البياض الساخن من رأسي، كانت طفلة مشعثة تُبرق عيناها بشكل غريب كانت ساهمة طوال ليال طويلة تُجند لها ثواني عمرها وهي تحاول أن تكتب الفرح "

أما شخصية"لولا" فجاءت معظم أحاديثها بصيغة ضمير المتكلم "أنا" لطرح

تصوراتها بصورة أكثر وضوحا ودقة "أحياناستمع إلى صلصلة أجراس آتية من عدة قرون مضت ،وأحيانا أستمع إلى وقع خطوات ثقيلة تسير هائمة من غرفة إلى أخرى وعندما تتعب على ما يبدو تتوقف أمام سريري"

تعد فكرة التعميم ليست مقبولة في بنية النص الروائي وإنما تضعفها وتحدث خللا بها فمثلا وصف المحجبات في الرواية بالعهر والخيانة وأوصاف أخرى، لا يليق بفكرة العمل الروائئ ككل، ولكن لو وقفنا على بطلة الرواية المريضة من الوجهة النفسية نجدها تسقط على المحجبات ما تختزنه هي، وما يختزنه بعض أفراد المجتمع من كرههم وبغضهم للإخوان المسلمين . الذين تصفهم أيضا بعدم الانتماء لبلدهم مصر حيث "كانت تهديداتهم بصوتهم الجهوري يوم ٢٢ يونيه ٢٠١٢ تكاد تثقب قبة في السماء بأنهم سيشعلون النار في مصر وأهلها إذا لم يفز مرسي".

تزداد حدة في وصف المحجبات"هل سمعت النساء المحجبات صرختي استروها لم تخلع إحداهن وشاحها الذي يكفي بالتأكيد لستر عورة عبلة، وجوههن كالحة وغبية وجامدة لا يوجد في عقولهن الغبية سوى الرجال" .

وتهدأ قليلا عندما تجد صعيديا شهما يستر الفتاة""لو لم يمر هذا الصعيدي الشهم بميدان التحرير لظلت عارية طلع عمامة رأسه وفردها ... "

تتحدث أيضا عن المعتقلين الذين يلبسونهم بدلات رقص مزركشة وعن حدث أمن الدولة ٥ مارس ٢٠١١ تقول لولا " ينظر مجدي إليَّ بغيظ كأنني أنا من اقتحمت وأحرقت مقرات أمن الدولة، ثم صورت المستندات التي تهيجه ،وعرضتها على الشاشات"بعد ما أشيع عنه أنه يتفنن في ألوان التعذيب للمعتقلين ذكرتها الكاتبة. وعن الشعارات كلنا خالد سعيد،والإسلام هو الحل، وما لها من تأثير في تعبئة الجماهير ونشر الفوضى.

ينبئ هامش الرواية عن تمتع الكاتبة بثقافة جمة فأحيانا يتعانق الهامش مع النص ويختلط به فمثلا عندما تحدثت الكاتبة عن فرانسوا بوشيه تقول في المتن"أكاد أصرخ كيف أنام شبه عارية هكذا إلى جوار رجل لا أعرف حتى اسمه اتلفت لعلني أجد صور مشتركة لنا معا ...لا شيىء سوى مستنسخ لبورتريه مدام دي بومبادور ويتعانق معه الهامش ليكشف عن شخصيته ، وهو رائد اتجاه الروكوكو في فرنسا مما زاد النص الروائي ثراء لغويا تتعانق معه أحداث كثيرة .

تآزرت على مائدة الحكي عدة شخصيات عربية وعالمية فنية مشهورة : عمر الشريف وعمر خورشيد وعبد الحليم حافظ وغيرهم وظفتها الكاتبة في السرد بصورة حية نابضة فتقول بطلة الرواية عن زوجها"ولكن هذا الرجل أكثر وسامة من عبد الحليم حافظ فشعرهُ غجري ملتو وكثيف حتى وهو نائم ولايشبه تسريحة عبد الحليم"المسبسبة"على جنب والتي كانت الشيء الوحيد الذي أكرهه فيه"

سعاد حسني "أكاد أرى سعاد حسني ممدودة في سوادها على أرض غريبة بعد سقوطها من علٍ"

وتقول عن الكاتبة الأرجنتينية مارتا لينش"وهي تقف أمام المرآة تتأمل التجاعيد التي زحفت إلى وجهها وهي في الستين من عمرها ثم تخرج المسدس من حقيبتها وببساطة وبدون تردد أو تراجع وبمهارة تصوبه نحو رأسها فهل كانت تصوبه أيضا نحو البياض الذي رأته يزحف في اتجاه ذكرياتها ليلتهمها"

ونأتي لعقدة الرواية الممثلة في عطش بطلتها عبلة للحب الذي لم ترتو منه طيلة حياتها إلا سويعات قليلة " لا أتذكر أن ثمة رجلا وضعني على ركبتيه ليحكي لي حكايات ولم أعد أتذكر سببا واحدا في مسارب أيامي الطويلة يشدني للبقاء"

و تقول عبلة عن زوجها"لا تستطيع درء كل الكوارث إلا محبة تشبه سامي" الذي قال لها "ليس للمجانين طلاق أحبك ،يا مجنونة أحبك" وهذا ما احتاجته بطلة الرواية عبلة ، وتحتاجه كل نساء بلادي حتى لا تمر حياتهن عبر سلسلة مضنية من التوجسات المؤرقة التي تحول دون سعادتهن فهل من سامع أو مجيب ؟!

الرواية الخامسة :لم تذكرهم نشرة الأخبار[٣٤].

نادية بطلة الرواية ."يراودك سؤال غريب :أهذا الجسد لي؟ أ ينبغي منحه لرجل ما؟ وفقاً لكلام أمك فهو الزوج، ولكنها لم تقل إنه يجب أن يكون

حبيبا .ترفعين كتفيك، تنظرين بالمرآة وترددين:

هذا جسدي؛ معبدي .ولن أمنحه إلا لمن أحبه ويحبني". ص٨

الرواية تتبع مصائر أفراد أسرة مصرية من ملايين الأسر المهشمة التي لا يتذكرهم أحد ، فهم ليسوا لاعبو كرة أو ساسة أو أثرياء أو أصحاب نفوذ..ولا حتي مجرمين لذا قبعوا في طي النسيان يحفرون مصائرهم بأيديهم وغالبا ما يفشلون أو تتقطع بهم السبل.. وقائع وتفاصيل من سنوات التيه لأسرة مصرية رصدتها الروائيه بعمق ورؤيه ناضجة ووعي بفنية الرواية وسرد يتسم بطلاوة اللغة وعذوبتها.

أحداث الرواية تدور في فضاء مكاني ممتد بين الأسكندرية والغردقة والسعودية، متناولة مجموعة من المشاكل التي فرضت نفسها على المجتمع خلال الثلاثين عاما الماضية ، وأجبرت الشباب على البحث عن حلول يائسة كلها تيه وغربة عن الذات والوطن . فمنهم(ماجد) الذي وجد في" التطبيع " حلا أخيرا لمواجهة وضعه المتأزم؛ ليقع تحت تأثير راقصة البلشوي "نتاشا "اليهودية ليبدأ رحلة التيه في اسرائيل مستغلا حادث انهيار الحاجز الأمني في رفح ليتسلل إلى اسرائيل .

---

(٣٤) انتصار عبد المنعم:،كاتبة مصرية،لم تذكرهم نشرة الأخبار"وقائع سنوات التيه" القاهرة ،روافد للنشر والتوزيع ،،ط٣ ، ،٢٠١٦م د.

ماجد "اعتبر أن الهروب هو أسلم طريقة للتخلص من االمتناقضات التي يراها ويمارسها رغما عنه ،الهروب كل ما يستطيع أن يفعله .كانت علاقاته العابرة بالفتيات نوعا من النسيان..." ص٤٣.

"ومن المؤكد أنهم غرروا بماجد مثل غيره من الشباب الذين خدعهم الإخوان بشعاراتهم ،ووعودهم، ثم وقع بعض الأوراق الرسمية وخرج يدفع ماجد أمامه" ص١٢٧.

وتتكالب الأحداث على هذا الشاب الذي تربى في أسرته مقهورا ليجد ملاذه في النهاية مرحبا بالتطبيع ص١٦٨ فنجد علاقة ماجد ونتاشا الفتاة الإسرائيلية "أجلسته نتاشا وجلست بجواره تمسك وجهه بينُ يديها، تلفحه بأنفاسها ثم همست بأنها ستغادر لإسرائيل لا إلى روسيا...ص١٦٨ .نظرت إليه باستغراب وقالت :ولم لا ؟ اسرائيل كأي دولة، وأنتم لكم معها علاقات سياسية واقتصادية ومعاهدة سلام يعني إسرائيل ،كأي دولة أوروبية تسافرون إليها للعمل والبحث عن مستقبل أفضل. ص١٧٠ ...اسرائيل قريبة لا يفصلنا عنها بحر يغرق فيه مثل من غرقوا في قوارب الباخرة رة بحثا عن شرعية للحياة على أرض إيطاليا واليونان وكان

مصيرهم موجة عاتية تبصقهم على شاطيء إدكو. ص١٧٤ .. فهناك معاهدة السلام بين البلدين والتطبيع ،الذي طالما سمع عن فوائده وحتمية وجوده ليعيش الجميع في سلام .وقد جاءته الفرصة ليطبق ما يدعوا إليه المنظِّرون بشرق أوسط جديد مليء بالتعاوف خاصة بعد اتفاقية الجات.

وشخصية طارق السلبية حيث" يجد مهربا في الرحيل إلى دولة خليجية ليعيش رحلة التيه بعيدا عن وطنه، و"نادية" تتخلى عن مبادئها وتتزوج زيجة قائمة على المال والسلطة لتنهي أحلامها ما بين مستشفى الامراض النفسية وبيت والدها، ومنهم من يهرب في مراكب الهجرة الغير شرعية ليفقد حياته غرقا . ص ١٠

وبطلة الرواية نادية التي تحكي وتحكي ولا تمل عن أسرتها ومجتمعها معبرة عن ألوان من السرد الموجع للتعسف ضد المرأة " فقررت نادية أن تتمرد على كل العادات والتقاليد وأن تفعل ما جُلد أخوها من أجله؛ قررت أن تدخن". .." لم تقاومهن ولم تتشبث بالعلبة .فقد تولد لديها شعور بالرضى لأنها أرتهن أنها تستطيع أن تفعل ما تريد، وتستطع الاعتِّراض ،والتمرد على ما تراه تناقضاً بسلوك من حولها" ص١١

"والحقيقة كانت تلك هي المناسبة الوحيدة التي يرد فيها ذكر كلمة العدل على لسان ذكور العائلة،العدل لا يطبقونه إلا في العقاب االجماعي لتأديب النساء

حين تصدر من إحداهن بادرة لا تروق للرجال". ص١١.

وقسوة الأب التي كانت سببا في تدمير عائلتها " لم تسمع صوت والدها يعلق على ما قالته أمها، بل سمعت صوت الحزام (القايش)الميري ذي الوردة النحاسية يهوي به على

أمها ص١٤."

" كانت تشعر بالتناقض، فوالدا يزرع فيهم الإعجاب بهذا النموذج الغربي المتحرر من الحياة على شاشة التليفزيون،في الوقت الذي لا يوفر لهم ي البيت قدرا ولو بسيطا من الحرية التي تنطق بها تلك الأفلام الغربية" ص١٦

"لم تلجأ إلى أساليب الفتيات المعتادة في الإيحاء بأنهن ملتزمات محتشمات؛ ليحصلن على فرص للزواج كما هو معتاد.لم تشعر بأنها في حاجة لارتداء قناع الزيف الذي يلبسنه .فأي خطأ ترتكبه فيما تفعل؟". ص٣١.

وتقول عن أختها."لم يأخذ أحد رأي هدى، يعتبرون أن العريس لا يعيبه سوى جيبه، ومحمود رجل جيبه مليء من عمله كفنيٍ تصليح غسالات. ص٢٥.."

ونقف عند أحزان نادية كأنثى تعيش في مجتمع ذكوري متسلط فكان(الآخر) لها عدوا يقهرها ونجد أمثلة كثيرة في الرواية منها :." ألا يمكن للمرأة أن تختار نصيبها أو قسمتها؟ أم أن الاختيار هو فعل ذكو"ري؟ ص٢٧ .."." وهذا المجتمع نفسه ..لا يريد أن يعرضك لأقاويل مجتمعك التي تحكم على المطلقة ..بإعدام قسري واقصاء حتمي من لائحة المقبولين في جنة أعرافهم

المتوارثة. ص١٧٦..."أما فيما يخص المرأة ، فأفكاره حبيسة دهاليز وأقبية عصور غابرة مضت .وهي على الرغم من كل فترات التمرد التي عاشتها إلا أن في المنطقة ،بالذات لا بجدي التمرد .كونها أنثى يجعلها تنتظر من ينصت إلى قلبها فيجيب نداءه ، لا من تستجدي قلبه".

ص٣٥. .."مثله مثل أي رجل شرقي يرفع صوته بالحرية والمساواة ، وعند الزواج يرجع لقريته يتزوج فتاة جاهلة ويلبسها خيمة كي لا يراها الغرباء..." وما زالت تحكي عن طارق الذي وعدها بالزواج وخذلها كأي رجل لا يمتلك كلمته التي هي شرفه..ص٣٥. عن طارق .."ولكنه كذكر لا عيب فيما يفعل أو يعتنق من أفكار..ص ٣٨.."فالرجل في نظرها بحمي ويحتوي ويمنح الشعور بالأمان. ..وكل هذا لم تجده في والدها الذي اعتبر الرجولة تسلط، ولا في طارق..الذي لم يعتد بكلمة الحب الذي صرح لها بها يوما، وكانت في نظرها عهدا، و في نظره لم تكن سوى كلمة تفوه بها ولا تلزمه بأي شيء." لم تشعر بالحنق على نفسها ولا على انتمائها لعالم الإناث الذي فرض عليه الذكور أن يكون دوما متلقيا مستقبلا لما بجودون بو من عطايا، بل بقيت كما هي تتيه بكونها أنثى، يعذبها حقيقة أن مقاليد كل شيء تريده،في يد صولجان مذكر الجنس. " ص٣٩. "أدركت نادية أن رغبتها في أن تجد الحب زيفت لها حقيقة أن من حولها ذكور من جنس واحد لا يختلفون في شيء، وما رأته في طارق لم يكن سوى أوهام قلبها ألقاها غشاوة على عقلها فرأته بعين الحلم لا بعين الواقع" . ص٣٩.

وجاء خالد ليتزوجها ويؤكد بأفعاله الصورة النمطية التي انطبعت في عقلها عن قمع

الرجل وكونه في مجتمع ذكوري يحق له أن يأخذ حقوقه ولا يبالي بمشاعر المرأة التي تشاركه حياته معبرة عن خيبة أملها للمرأة الثانية حيث تقول عن خالد زوجها "فالمرأة بالنسبة له لا تتعدى كونها أنثى بالمعنى البيولوجي." ص٧٣

طريقة تعامل الروائية مع شخوص الرواية. فمن هم في المتن تجعلهم في الهامش، ومن في الهامش تجعلهم في المتن. بحيث ينطبق عليها مقولة (إن كل شخصية في الرواية هي بطلة متتاليتها الخاصة) وهذا ما فعلته الكاتبة فكل شخصية بطلة عندما تتعامل معها. كذلك قامت الكاتبة باختبار شخوصها وأخضعتهم للتجربة حسب ثلاثة معايير نطقت بهم ثلاث مقولات تضمنتها الرواية للكاتب الكبير احسان عبد القدوس عن الحرية، ومقولة وايلدر عن الحب كشيء يربط بن الأحياء والأموات، ومقولة سوفوكليس عن أهوال الحياة وصعابها التي ينجح في تحملها الانسان ويفشل عند مواجهة الموت.

وهكذا أخضعت الكاتبة أبطال الرواية للتجربة قياسا على (الحرية، والحب، والمعاناة) ،ليرسب الذكور وتنجح نادية إلى حد ما ولكن على حساب نفسها وأعصابها.

الرواية السادسة :بنات الحاج للكاتبة المصرية هالة فهمي[٣٥]

تبدأ الرواية التي تحكي عن أحلام هذه الفتاة التي فقدت حبيبها بسبب أهلها ففقدت معه صوابها والكتابة حين تولد من رحم المعاناة والقهر تصبح راية للتمرد على الواقع المقيت هكذا أعلنتها الكاتبة على لسان بطلتها ملك: ،آهٍ يا أحلام .اخترقني صوت جدتي تبكي عمتي الرافضة جسدها تاركة إياه لهم و هامت بروحها تبحث عن دنيا أخري ._ أبوك و أخوك ظلموك يا ابنتي .. آهٍ يا حبة عيني .اقتربت منها .. مسدت علي رأسها الذي نُزعت عنه طرحته و العصابة السوداء التي لم تغير لونها حداداً علي ملك الكُبرى .. صرخت و هي تشدها _ كفاني حزناً يا رب .

نسيت أن أخبركم أن أحلام لم تمت .. إنما نقلت صباح هذا اليوم إلي مصح نفسي كبير في القاهرة بعد أن فشلت جميع محاولات الحاج شاهين في إقناع الأطباء بعلاجها في بيته كان جُل هم الحاج هو ألا يعرف الناس أن ابنته جُنت لأجل ابن سيد عبد الرازق .." ص ٢

تأتي رواية (بنات الحاج) على مستوى المضمون كصرخة تمرد على مستويات عدة تمرد على القهر المجتمعي الذي يمارس ضد المرأة وتمرد ضد الطبقية وسطوة المال ومحاولة صادقة للانتصار للحب والمشاعر النبيلة "هل كانت ملك مجرد طفلة عابرة من المدينة إلى القرية ـ حيث الجذور ـ فى اجازتها الصيفية لتقضى أجمل أيامها منطلقة متحررة من كل قيد يحاول الآخرون تقييدها به؟ أم أنها كانت شاهدا ومحركا

([٣٥]):-هالة فهمي،كاتبة مصرية ،رواية بنات الحاج ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط ١ ، 2013 .

للأحداث نقب جدار الصمت ، وألقى حجرا فى الماء الراكد، لم تغير كثيرا فى مصائر من حولها ولكنها استطاعت أن تملك قرارها وألا تنتهى لنفس المصير، لأنها كانت قادرة على الرفض والرصد والتحليل، هذا ببساطة هو السؤال المحورى الذى دارت حوله أحداث رواية بنات الحاج للكاتبة التى قدمت نصا روائيا عنونت فصوله بحروف "أبجد" وكأنها تتهجى مفردات الحياة، تفهم أسرارها، وتكتب مصيرها ، من خلال مامر بعائلة الحاج شاهين، تلك العائلة التى قيل أن لعنة أصابت بناتها، لكن النص يخبرنا أن سلوكيات البشر هى ما تؤدى إلى الكوارث وأن تلك الكوارث قد تصنع الفارق فى سلوكيات البشر ولكن ذلك قد يكون بعد فوات الأوان.

لملمت شطحات خيالي و عدت للمنزل .. توافق دخولي مع جدي الذي جلس صامتاً و ما أن رأني حتى فتح ذراعيه و ضمني و اسند رأسه فوق رأسي قائلاً : تري ماذا تخبي الأيام لنا معكِ يا مَلك؟! قدرك يا شاهين بناتك . تخلصت منه سائلة عن عمتي أحلام .. كاد يبكي و هو يقول :

حالة أكتئاب حاد .. حاولت الانتحار هذا الصباح .. و منعوا عنها الزيارة ؟ شددت نفسي من أمامه .. فجأة تحول الحاج شاهين _ جدي _ إلي رجل غريب عني .. من هذا ؟ كان عقلي يسألني : هو قاتل ابنته ؟! لا بل رجل لا يعرف الحب .. جاف .. ص٩

تقول ملك "لكننا نسختان متطابقتان كلانا لا تخضع للتهديد .. عنيدة محاربة .. و رثت كل شيء عن عمتي الكبرى .. المسألة لم تكن شكلاً فقط قررت أن أكمل الرواية و ليكن ما يكون من جدي فليس من حقه خنق شعاع الشمس ولا وأد القمر إذا أراد .. لقد فتح باب السر و كشف غطاء المقبرة..فعلي الجميع أن يتصارح و ألا ينام سر في قلب صاحبه بعد الآن ."

" ربما لا ندرك بشاعة الأشياء السلبية ونحن أطفال أو ربما لا نراها إلا بعد أن تتكاثر وتشكل ظاهرة . أو ربما عندما يزيد القهر فتقع الأقنعة وتبدو الحقائق جلية واضحة .. ربما .. فلولا هذه المذكرات لظلت قرية المجد هى تلك القرية التى أركض داخل إطارها الأخضر .. أطارد فراشتها .. أحلق مع يماماتها "

السرد بضمير المتكلّم يوهم بتطابق أو بتماهي صوت الراوي في النّص مع صوت المؤلف الحقيقي في الواقع، كما يوهم بواقعية التجربة وحقيقية الشخصيّات، ومن هنا يأتي الربط بين شخصيّة المؤلف وشخصيّة بطله! مع أن السرد بضمير الغائب أو المخاطب قد يكون أحيانا اختيارا فنيّا حتى في مجال رواية السيرة. آه ياعمتي الحبيبة لو بيدي لذدت عنك كل شئ حتى الألم ولكن إن استطعت رد قسوة طاهر عليك .. فكيف أرد لك إسماعيل .. هذا الحبيب الذي راح منك لأسباب كلها تصب في الثروة الملعونة التي جعلت منا طبقة ومن كل الذين أحببناهم طبقة، أتدرين يا أحلام لقد أكتشفت أننا أحببنا من غير طبقتنا.. هل هى الصدفة أم التمرد ؟!أظنها الثانية .. ولكن النهاية المحزنة أننا كلنا

أحببنا من لا يضاهون ثروة جدي الملعونة .. لكني مختلفة عنك وعن عمتي ملك .. نعم كانت من النوع المتمرد وهذا شئ عادى فالقهر يولد التمرد.. ورغم تمردها كانت حالمة .. خيالية .. وكأن نصفها بشر ونصفها الآخر ملاك .. يرفض الشر.. لكنها لا تعرف كيف تقاومه .. ولا مثلك يا أحلام سلبية تترك مصيرها للأخرين .. تقاوم ضد نفسها .. وليس ضد ظلم الآخرين لها .. ص٧٧"

تحرص الكاتبة على تنويع الخطاب باستعمال أساليب لغوية وبلاغية مختلفة تتراوح بين الحوار الداخلي(المناجاة) والوصف والحوار الخالص والرسالة والسرد بكل أنواعه، واستعمال اللهجات المحلية وسجلات مختلف الشرائح والفئات الاجتماعية، تركز على صراع الشخصيات وتناقض مواقفه".'' اسأل نفسي أيهما أجمل أن أعيش جزءا من منظر طبيعي خلاب .. أو أن أرقب هذا المنظر واستمتع به .. لكل منهما متعته الخاصة .. عندما أكون جزءا من المشهد، مذاق يختلف عما أكون مراقبة له من بعيد وهذا ما يحدث كثيرا في تفاصيل حياتي.. خاصة بعد أن قررت ضم مذكرات أحلام لما بدأت كتابة في رواية تحمل اسم (بنات الحاج) فعندما أعود للطفولة البريئة أكون جزءا من المشهد.. أعشق ساعاته وأتمنى ألا تمضي .. وحالة كوني شاهدة أحكي لكم .. أتحكم في الحكاية .. متى ابدأ ومتى أتوقف وها أنا ذي أعود إلى حكاية عمتي أحلام تلك التي انهارت وسقطت فاقدة الرغبة في الحياة والخروج عن جلدها الذي ضاق عليها حتى كاد يخنقها .''

وتوغل في إبراز المتناقضات متنقلة بين الضمائر " تراك يا أبى حقيقة .. أم حلماً مزعجاً عرفته الآن ولا أرغب فى البوح به خوفا من تفسيره ؟ ولمتى سنحمل لعنة هذه العائلة؟! القبح والطيبة .. العدل والظلم.. جنبا إلى جنب ! ص٦٢

ابتسمت فمذكرات أحلام تأريخ لقرية مصرية .. لو نشرتها لترجمت لمائة لغة وربما حصلت علي نوبل .. عمتى الجميلة مؤرخة فى السر لبلد .." ص٦٢

وما أقسى حياة المرأة !ّكثر النخاسون فى بلدنا يا أحلام .. نحن أنفسنا نخاسون .. إن لم نجد من يبيعنا .. بعنا أنفسنا .. سأسافر بعد شهر" . ص٦٩"

ستة أعوام يابن سيد عبد الرازق .. هل تزوجت ونسيتنى .. هل ؟ ..وهل؟ ولماذا ؟! هل هربت من لعنة ابنة الحاج شاهين .. ومن لعنة عائلة شاهين .. لماذا تركتنى ؟! ولماذا لا أقدر على نسيانك .. آه يا اسماعيل .. ياليتك لم تلق إلىَّ بنظرتك التى عشقتها وأعيش على بقايا وميضها . انتظر .. مجرد عروس تنتظر وسط حديث النسوة اللائي يذبحن سيرتى بنصال ألسنتهم .." ص٦٩""

""فنحن الإثنان نعلم أننا سنخوض حربا شعواء تبدأ مع طاهر قائد فرقة قهر بنات الحاج بلا منازع .. لكننا مستعدان بأقوى أدوات الحرب وقهر الظلم .. مستعدان بالحب . .. ص٧١

.. "كم ظُلمت يا أحلام .. يبدو أن الظلم الدائم كان من نصيب النساء في هذه العائلة .. هل تعلمين يا عمتي ،يبدو لي أن رجال عائلتنا الظالمين منهم ليسوا هكذا برغبتهم .. حكى لي والدي أن جدي تحول لهذا الرجل الجامد بعد مجزرة البورصة ثم جاءته ضربة أخرى عندما أكلت الدودة محصول القطن وغيرها من مشاكل صنعت لهذا الرجل نتوءات داخل قلبه وغشاوة أفقدته الثقة بمن حوله ص٧١

و لكن مع مرور الأيام و تفسخ كتاب الحواديت سقطت و ريقات كثيرة و تعرت حقائق أكثر ، عرفت منها أن سطوة جدي لا تعدو أن تكون مظهراً من المظاهر التي حرصنا علي الحفاظ عليها .. فهاهم أولاء أبناؤه : فؤاد الذي عرفت مؤخراً أنه قاتل عمتي الكبرى ، و طاهر الذي عرفت عنه الكثير .. فهو أكثر أعمامي عصبية و تناقضاً .. طاهر الذي عذب " أحلا م " حتى تكون الفتاة التي لا تنالها خيالات الرجال .. بينما هو عابث ببنات البلدة : واحدة تلو الاخري، مستغلاً حلم كل واحدة فيهن في دخول بيت الحاج شاهين و التنعم بالثروة .. يبرر لنفسه دائماً بأنهن طامعات و أن العلاقة بينهما مجرد تلاقي اثنين من الطامعين .. هي تقدم الجسد و هو يهب الأحلام .. لعل طاهر هو الآخر ضحية لملك و فؤاد .. و هذا ما استطعت استنباطه من خلال مذكرات أحلام"، ص٢٩"

عائلتي التي اختلطت أساطيرها بواقعها .. حتى جدي الحاج شاهين أحياناً أظنه هارباً من كتاب حواديت قديم لشخص قوي استطاع أن يحرك الكون بنظرة عينه" ص٢٩

البيئة المكانية كانت وسيلة الكاتبة في ربط الحكايات ببعضها البعض خاصة دوار الحاج شاهين ومقام الشيخ عبد الله والنهر ، وتبقى القرية في الماضي والحاضر بيئة تكشف معاناة الشخوص وما حل بأرواحهم من تشوهات بالتماهي مع ما أصاب القرية من قبح ‘‘هذا مشهد من فصول كثيرة واجهتني بكل قبحها .. تخرج لي لسانها قائلة :هاهى ذى قريتك طالها فرشاة ‘‘المكياج’’ المنفر لمسخ ملامحها الحبيبة ..’’ .

نلمح أيضا على إمتداد الرواية أصداء المورث الشعبي سواء المرتبط بالحزن مثل العديد أو بالمعتقدات مثل الحكايات المرتبطة بمقام الشيخ عبد الله وكذلك على مستوى العادات مثل العلاج بلومية الجميزة والتلميح من خلال هذ المشهد إلى قضية الختان.

بينما نجد الكاتبة تتذمر على لسان بطلتها ملك من أسلوب التقطير في الحكي الذي كانت تمارسه معها أحلام وجدناها تعمد في روايتها إلى ذات الاسلوب بتفكيك الحبكة داخل نصها الروائي وتعمد أيضاً إلى توالد الحكايات المروية داخل النص

اللغة عمدت فيها الكاتبة إلى لغة الحوار في معظم فصول الرواية وحاولت تقديم لغة واقعية بسيطة تظهر جمالياتها في الاستهلال الوصفي في مطلع كل فصل وتزينت بالموروث الذي نثرته الكاتبة عبر فصول القصة .

بقى لنا أن نطرح سؤالاً يتعلق بالمضمون داخل النص الروائي لماذا ظل ضمير

الغائب في السرد فقط من نصيب كل رجال الرواية .

وإلى ما يذهب إليه بول ريكور" أن لخيال لا يكتمل إلا بالحياة، والحياة لا تُفهم إلا من خلال القصص التي نرويها عنها" فمنحتنا الكاتبات سردا موجعا نابضا بالحياة.

نتائج البحث :

١. أثبتت الدراسة أن الرواية النسوية الفلسطينية في رواية لا يهزمني سواي قد واكبت القضية الوطنية حيث علت من قضيتها الوطنية المتمثلة باغتصاب الأرض، وتشريد الشعب الفلسطيني خارج وطنه، ومثّل هذا الموضوع جوهر رواياتها.

٢. بينت الدراسة أن الروائية النسوية قد حوّلت شخصية الرجال في كثير من رواياتها إلى شخصية قاسية؛ حيث ظهرت سلطتهم، وانتهازيتهم، وتناقضهم، ولم تستثن المثقف الذي لم يكن بأفضل من حال الرجل التقليدي، أو الثوري السياسي ، فهم في نظرها سلبيون ولكن بدرجات متفاوتة!. في حين عملت على تقديم الصور المتعددة لنضال المرأة.

٣. أظهرت الدراسة أن أكثر الأعمال الروائية قد تواصلت بالمأثور الشعبي الفلسطيني في القول والفعل، مما يعني حرص الروائيات على المحافظة على تراثهن من الضياع والطمس الذي يسعى أعداء الوطن على تذويبه.

٤- الاختلاف الأيدلوجي ،والاضطهاد العنصري، واللجوء؛ كل هذه الموضوعات تمثل حيوات أبطال الأعمال الروائية.

٤. استطاعت الكاتبات أن يضعن بصمة متفردة في السرد الروائي الذي تناول أوجاع المجتمع والأنات الأنثى كموضوع ثري مهم يعكس مآساته فكان خطابهن السردي مرآة عاكسة لكل تلك الفواجع.

٥. برهن البحث على تصدع الواقع السوري من خلال رواية "صيف مع العدو وكثرة انتكاساته حتى اليوم.

٦. أظهر البحث من خلال رواية لم تذكرهم نشرة الأخبار قضية التطبيع مع إسرائيل التي أثارتها الكاتبة .

٧. الهوية عنوان رواية قيد الدرس وكيف التصقت هذه الهوية بطبقة من المجتمع وهمشتهم.

٨. برهن البحث كيف تكون هواجس الأنثى معبرة عن وضعية المرأة في إطار من الظلم الاجتماعيكما وجدنا عبلة بطلة رواية بياض ساخن.

٩. الرواية ما زالت تطرح سؤال الهُوية المهترئة وما أكثر أن تُطمس هوياتنا في زمن متهالك ملئ بأنين الحروب.

. . .

المصادر والمراجع:

١- الأعرجي، نازك: صوت الأنثى – دراسة في الكتابة النّسويّة العربيّة؛ الأهالي، ط١، دمشق، سورية، ١٩٩٧.

٢- إبراهيم خليل: النّقد الأدبيّ الحديث من المحاكاة إلى التّفكيك؛ دار المسيرة، ط١، عمّان، ٢٠٠٩

٣- إبراهيم خليل ، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك ،عمان الأردن،دار المسيرة للنشر والتوزيع ،ط١ ،٢٠٠٣.

٤- أحمد جاسم الحميدي، المرأة في كتاباتها - أنثى برجوازيّة في عالم الرّجل؛ ط١،١٩٨٦.

٥- انتصار عبد المنعم:،كاتبة مصرية،لم تذكرهم نشرة الأخبار"وقائع سنوات التيه" القاهرة ،روافد للنشر والتوزيع ،،ط٣ ، ،٢٠١٦م.

٦- تود، جانيت: دفاعًا عن التّاريخ الأدبيّ النّسويّ؛ ت:: ريهام إبراهيم – المشروع القومي للتّرجمة، المجلس الأعلى للثّقافة، ط١، القاهرة، مصر، ٢٠٠٢.

٧- حفناوي بعلي ، ،مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة ،ترويض النص وتقويض الخطاب أمانة عمان،الأردن ،ط١ ،٢٠٠٧.

٨- رامان سلون، النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة جابر عصفور، ط١، دار الفكر، القاهرة، ٢٠٠١م

٩- رامي أبو شهاب،الممر الأخير"سردية الشتات الفلسطيني منظور ما بعد كو لونيالي،المؤسسة العربية للدراسات والنصر، لبنان ط١ ،٢٠١٧م ".

١٠- رولا خالد غانم، لا يهزمني سواي ، ،حيفا،مكتبة كل شيء ،ط١ ،،٢٠١٨م.

١١- سوسن ناجي، المرأة في المرآة - دراسة نقديّة للرّواية النّسائيّة في مصر؛ ١٩٨٩.

١٢-سهير المصادفة ،رواية بياض ساخن،الدار المصرية اللبنانية ،،ط١٩١٥،١ م .

١٣- شهلا العجيلي،رواية "صيف مع العدو ،د. ،منشورات مجاز،عمان،الأردن،ط١ ، ٢٠١٨.

١٤- صبري حافظ :أفق الخطاب النقدي، القاهرة ،دار شرقيات للنشر والتوزيع ، ط١٩٩٦،١.

١٥- عفيف فراج، الحرية في أدب المرأة، دار ابن هاني، دمشق، ،ط١ ، ،١٩٨٦.

١٦- لنا عبد الرحمن ،رواية ،قيد الدرس" " بيروت،دار الآداب،ط١ ،٢٠١٦م .

١٧- محمد عناني:، ، المصطلحات الأدبية الحديثة ،الشركة الشركة المصرية العالمية للنشر،لونجمان، مصر ط١ ،٢٠٠٣.

١٨- هالة فهمي: كاتبة مصرية بنات الحاج، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،،ط١ ، ٢٠١٣م

١٩- هالة كمال: ،النقد الأدبي النسوي ،سلسلة ترجمات نسوية،مؤسسة المرأة والذاكرة،القاهرة ،،ط١، ٢٠١٥ .
٢٠- يمنى الخولي: النّسويّة وفلسفة العلم؛ عالم الفكر، مجلّد ٣٤، المجلس الوطنيّ للثّقافة والفنون والآداب.